٣٠١٠٢٠٠٠٠٢٧٧٧

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

مدى استفادة المدرسة الإبتدائية من التربية الخلقية عند أبي حامد الغزالي

إعـــداد الطالب
عبدالله محمد مكي عبدالله سلتي

١٠١٩٤٩
٠٠٤٣٤

إشراف الدكتور
السعيد محمود السعيد عثمان

دراسة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة في كلية التربية بجامعة أم القرى كمتطلباً تكميلياً لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية

جامعة أم القرى / مكة المكرمة
قسم الدراسات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

الفصل الدراسي الثاني
١٤١٧ ـ ١٤١٨ هـ

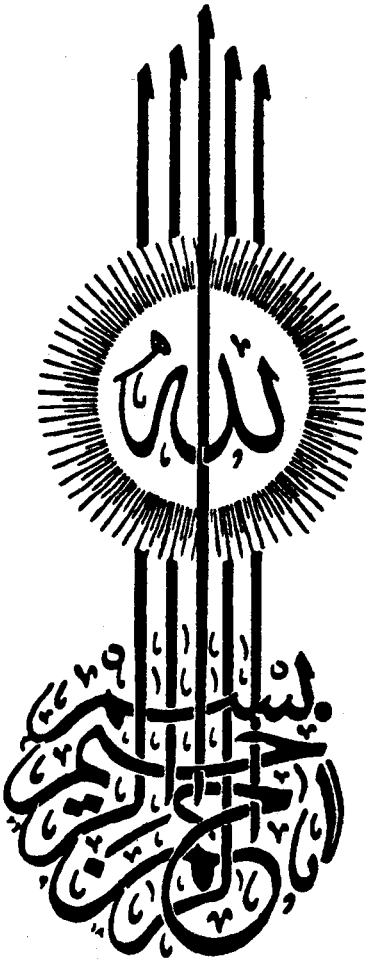
بسم الله الرحمن الرحيم

« ملخص الدراسة »

الموضوع : « مدى استفادة المدرسة الإبتدائية من التربية الخلقية عند أبي حامد الغزالي » .

هدفه : التعرف على مفهوم التربية الخلقية عند أبي حامد الغزالي وأساليبها ، والاستفادة من ذلك في وضع تصور للتربية الخلقية تستفيد منه المدرسة الإبتدائية .

ويركز البحث في الإجابة على التساؤل التالي : ما مدى استفادة المدرسة الإبتدائية من التربية الخلقية عند أبي حامد الغزالي ؟ .

وللإجابة على هذا التساؤل إقتصرت الدراسة على بيان مفهوم التربية الخلقية عند الغزالي وبعض الأساليب والمبادىء التي يتم بها إكساب الطفل التربية الخلقية ، والتصور المقترح لمدى استفادة المدرسة الإبتدائية من ذلك .

وقد احتوى البحث على فصل تمهيدي اشتمل على موضوع البحث وتساؤلاته وأهدافه وأهميته وحدوده ومنهجه ثم الدراسات السابقة ذات العلاقة ، وعلى خمسة فصول وخاتمة :

الفصل الأول : التعريف بالإمام أبي حامد الغزالي .

الفصل الثاني : معنى الأخلاق .

الفصل الثالث : التربية الخلقية عند الغزالي .

الفصل الرابع : بعض الجوانب التطبيقية للتربية الخلقية عند الغزالي .

الفصل الخامس : التصور المقترح للتربية الخلقية في المدرسة الإبتدائية في ضوء آراء أبي حامد الغزالي .

الخاتمة : وفيها نتائج البحث والتوصيات .

ومن أهم النتائج :

١ ـ يرى الغزالي أن الخلق هو : هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر ، من غير حاجة إلى فكر وروية . وأن الأخلاق مكتسبة يمكن تغييرها .

٢ ـ يرى الغزالي أهمية دور الوالدين والمدرسة في غرس التربية الخلقية للأطفال .

٣ ـ يؤكد الغزالي على دور المؤسسات في إكساب التربية الخلقية . مثل الأسرة والبيئة .

٤ ـ يرى الغزالي أن هناك عدداً من الوسائل والأساليب تلعب دوراً في إكساب الطفل التربية الخلقية مثل : المراقبة ـ القدوة ـ الثواب والعقاب ـ اللعب .

٥ ـ يرى الغزالي الإهتمام بتأديب الطفل حتى في كبره وذلك بمحاسبته وتعويده على بعض الآداب .

ومن أبرز التوصيات :

١ ـ تأهيل الآباء والمعلمين بطرق تمكنهم من القيام بتربية أطفالهم التربية السليمة القائمة على القواعد الأخلاقية .

٢ ـ تدريس مادة التربية الخلقية كمادة مستقلة ضمن مقررات المدارس الإبتدائية .

٣ ـ أن يتعلم الطفل الخلق ثم يحاسب على عدم تطبيقه ، ويثاب على تطبيقه ، وضرورة إيقاع العقاب البدني عند المحاسبه .

يعتمـد ،،

إعداد الطالب	المشـرف	عميـد كلية التربيـة
عبدالله محمد مكي سلتي	د . السعيد محمود السعيد	د . عبدالعزيز بن عبدالله خياط

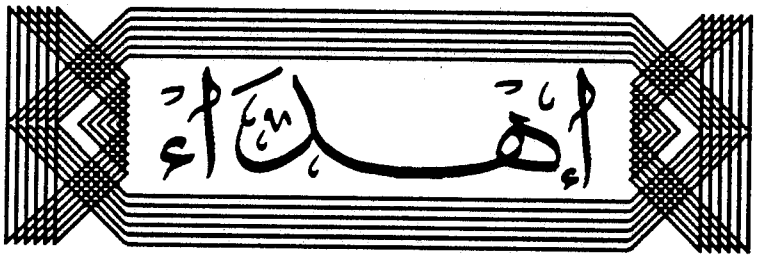

- إلى من أوليانى الرعاية والتوجيه منذ الصغر .. وإلى من كان لهما الفضل بعد الله في تربيتي ومواصلة تعليمي .

- إلى والدتي الكريمة أطال الله في عمرها ورزقني الله برها .. أتقدم بإهداء ثمرة غرسها تقديراً منى بفضلها .

- وأهدى ثوابه إلى روح والدي رحمه الله تعالى جعل الله هذا العمل في موازين أعماله إن شاء الله .

- إلى إخواني وأخواتي وأقاربي الذين شجعوني وأعانوني على مواصلة هذا العمل .

- إلى زوجتى الغالية التي تحملت الكثير في سبيل تأمين راحتي خلال فترة هذا العمل .

- إلى ولدىّ العزيزين سيف ونوران الذين ضحيا بالكثير من أوقاتهما من أجلي .

- إلى كل رب أسرة وربة أسرة .

- إلى كل معلم ومعلمة .

- إلى الزملاء الأعزاء .

- إلى كل هؤلاء أهدي هذا الجهد العلمي سائلاً المولى عز وجل أن يذكرنا ما نسينا ويعلمنا ما جهلنا وينفعنا بما علمنا .

إنه سميع مجيب الدعوات

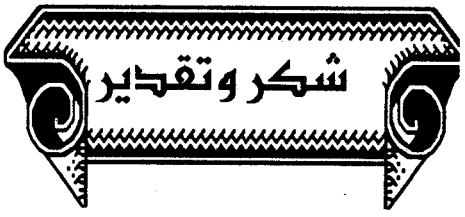

لقد أمر الإسلام بشكر من عمل لنا معروفاً والدعاء له ، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من لا يشكر الناس لا يشكر الله » (أبو عيسى محمد الترمذى ، ١٤٠٨ هـ ، جـ ٤ ، ص ٢٩٩) .

وأتقدم بالشكر لله سبحانه وتعالى على نعمه علينا وأن وهبنا نعمة العقل والتفكير ، وأن وفقني سبحانه وتعالى إلى إبراز هذه الرسالة بهذه الصورة المشرفة .

لذلك أتقدم بالشكر إلى المسؤولين في جامعة أم القرى بمكة وأخص بالشكر معالي مدير الجامعة السابق د . راشد الراجح ومديرها الحالي د . سهيل قاضي وعميد كلية التربية ورؤساء قسم التربية الإسلامية د . محمود كسناوي ، ود . محمد جميل خياط ، ود . حامد الحربي ، لما لقيته من معاملة حسنة طيلة فترة الدراسة بالجامعة .

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأستاذ الفاضل الدكتور بشير الحاج التوم الذي أشرف على هذه الرسالة من بدايتها وتم إجازة الخطة معه ولم يستطع إتمام الرسالة نظراً لإنتهاء عقده ، كما أتقدم بالشكر إلى المشرف الذي تابع معي الرسالة حتى إنتهت الدكتور الفاضل السعيد محمود السعيد ، أشكرهما على ما أولياني من عناية فائقة، وتوجيه تربوي بناء ، ونصح صادق ، وأفاداني بعلمهما ، ولم يبخلا علىّ بوقت ولا توجيه ، الأمر الذي كان لي زاداً وعوناً في بحثي ، فجزاهما الله عني خير الجزاء ، وأجزل لهما المثوبة ، وأمد الله في عمرهما وأفادهما وأفاد المسلمين بهما .

كما أشكر الأستاذين الفاضلين اللذين تفضلا بقبول الإشتراك في مناقشتي في هذه الرسالة وهم الدكتور / نايف بن حامد همام الشريف مناقش من داخل القسم والدكتور / عبدالمنان معمور ملا بار مناقش من خارج القسم ولقد تجشما التعب في تقويمها فجزاهما الله عني خيراً .

وأخص بالشكر المربي الفاضل الأستاذ محمد محمد مجاهد الذي ساعدني كثيراً بتوجيهاته السديدة ، وتصويبه المتقن .

والشكر والإمتنان كذلك للدكتورة الفاضلة أميرة على مداح على مجهودها الملحوظ والذي كان ثمرته هذا العمل .

كما أشكر جميع الزملاء الأفاضل سواء في العمل أو الجامعة الذين ساعدوني على إخراج هذه الرسالة فجزاهم الله خير الجزاء .

وإنني لأحوج ما أكون إلى توجيه وملاحظة أساتذة أجلاء الأمر الذي سيزيد من تحصيلي في إبراز هذا البحث بصورة مشرفة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
* ملخص الدراسة	أ
* الإهداء	ب
* شكر وتقدير	جـ
* قائمة المحتويات	د
الفصل التمهيدي	
* المقدمة	١
* موضوع البحث	٣
* تساؤلات البحث	٥
* أهداف البحث	٥
* أهمية البحث	٦
* حدود البحث	٧
* منهج البحث	٧
* الدراسات السابقة	٩
الفصل الأول	
التعريف بالإمام أبي حامد الغزالي	
* نسبه	١٤
* مولده	١٤
* نشأته العلمية	١٥
* عصر الغزالي	١٧
أ ـ الحياة الفكرية	١٧
ب ـ الحياة الدينية	١٨
جـ ـ الحياة السياسية	٢٠
* أساتذته	٢٠
* تلاميذه	٢١

تابـــع المحتويـــات

الموضـــــــوع	الصفحـــة
* مؤلفات الغزالي	٢١
١ ـ المنقذ من الضلال	٢٢
٢ ـ تهافت الفلاسفة	٢٢
٣ ـ كتاب إحياء علوم الدين	٢٢
* طريق الغزالي في نقد الفلسفة	٢٣
الفصل الثاني	
معنى الأخلاق	
أ ـ التعريف اللغوي	٢٥
ب ـ التعريف الاصطلاحي	٢٥
جـ ـ معنى الأخلاق عند الغزالي	٢٧
* أهمية الأخلاق	٢٧
* فضيلة حسن الخلق	٢٨
* علامات حسن الخلق	٣١
* إكتساب الأخلاق الحسنة	٣٤
* الخلق وتغييره	٣٧
أ ـ الخلق السيء وتعديله	٣٧
ب ـ قبول الأخلاق للتغيير	٣٧
جـ ـ المراد بتغيير الخلق	٣٩
د ـ طرق معالجة الأخلاق السيئة	٤٠
هـ ـ مراحل تغيير الخلق	٤٢
الفصل الثالث	
التربية الخلقية عند الغزالي	
* التربية الخلقية	٤٥
* مفهوم التربية الخلقية	٤٥

تابـــع المحتويـــات

الموضـــــــوع	الصفحـــة
* مفهوم التربية الخلقية عند الغزالي	٤٦
* تعريف الباحث للتربية الخلقية	٤٧
« بعض المؤسسات التربوية ذات العلاقة بالطفل ودورها في إكساب التربية الخلقية عند الغزالي »	
أولاً : دور الأسرة في تربية الطفل خلقياً	٤٨
١ ـ اختيار الأم ثم الحضانة والإرضاع	٤٨
٢ ـ دور الوالدين في تربية الطفل خلقياً	٥٠
ثانياً : دور البيئة في تربية الطفل خلقياً	٥١
« أساليب إكساب التربية الخلقية عند الغزالي »	
أولاً : المراقبة :	٥٤
١ ـ ملاحظة سلوك الطفل	٥٤
٢ ـ صيانة الأطفال من قرناء السوء	٥٦
ثانياً : القدوة ودورها في إكساب التربية الخلقية	٥٧
ثالثاً : الثواب والعقاب ودورهما في إكساب التربية الخلقية	٦٠
رابعاً : دور اللعب في إكساب الطفل التربية الخلقية	٦٣
* نظرة الشريعة الإسلامية للعب	٦٤
* اللعب وعلاقته بالتربية الأخلاقية من وجهة النظر الإسلامية	٦٥
* أهمية اللعب بالنسبة للطفل الصغير	٦٥
* مكان ووقت اللعب من وجهة النظر الإسلامية	٦٦
« بعض المبادىء التربوية التي في إطارها يتم إكساب الطفل التربية الخلقية عند الغزالي »	
أولاً : الفروق الفردية	٦٨
ثانياً : العقوبة :	٧٠
١ ـ كيفية عقاب الطفل على سوء خلقه	٧١

تابـــع المحتويـــات

الموضـــــــوع	الصفحـــة
* ضوابط شرعية على عقوبة الطفل	٧١
٢ ـ عدم استعمال القسوة في تهذيب سلوك الطفل	٧٢
* نظرة الإسلام في معاملة الطفل	٧٢
٣ ـ التدرج في معاقبة الأطفال سيء الخلق	٧٤
أ ـ الإرشاد إلى الخطأ بالتوجيه	٧٥
ب ـ الإرشاد إلى الخطأ بالملاطفة	٧٥
جـ ـ الإرشاد إلى الخطأ بالإشارة	٧٥
د ـ الإرشاد إلى الخطأ بالتوبيخ	٧٦
هـ ـ الإرشاد إلى الخطأ بالهجر	٧٦
و ـ الإرشاد إلى الخطأ بالضرب	٧٦
ثالثاً : بعض المعايير والقيم الخلقية	٧٧
الفصل الرابع	
بعض الجوانب التطبيقية للتربية الخلقية عند الغزالي	
أولاً : آداب الأسرة	٨١
١ ـ آداب الطعام والشراب	٨١
أ ـ غسل اليدين قبل الطعام وبعده	٨١
ب ـ التسمية في أول الطعام والحمد في آخره	٨١
جـ ـ أن يأكل بيمينه ومما يليه	٨١
د ـ عدم الاستهانة بالنعم أو الأكل متكئاً	٨٢
هـ ـ استحباب التحدث على الطعام والدعاء لمضيفه إذا فرغ من الطعام	٨٢
و ـ ألا يبدأ بالطعام ويوجد من هو أكبر منه سناً	٨٣
ز ـ عدم الإكثار من الأكل والإفراط في الشبع	٨٣

تابـــع المحتويـــات

الموضـــــــوع	الصفحـــة
٢ ـ آداب اللبس	٨٤
٣ ـ آداب الكلام	٨٧
أ ـ التمهل بالكلام أثناء الحديث	٨٧
ب ـ البعد عن التكلف في الفصاحة والتحدث بما لا يخل ولا يمل	٨٧
جـ ـ الإصغاء التام إلى المتحدث وإقباله على الجلساء جميعاً	٨٧
د ـ عدم الحلف والتحدث بالخير أو الصمت	٨٨
٤ ـ آداب المخالطة	٨٨
٥ ـ آداب المجلس	٨٩
أ ـ مصافحة من يلقاه في المجلس	٨٩
ب ـ أن يجلس في المكان الذي يخصصه له رب المنزل أو حيث ينتهى به المجلس	٨٩
جـ ـ الجلوس في محاذاة الناس لا في وسطهم	٩٠
د ـ ألا يتسار اثنين في حضرة ثالث في المجلس	٩٠
هـ ـ من ترك مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به	٩٠
و ـ الاستئذان قبل الإنصراف من المجلس	٩١
ز ـ كفارة المجلس	٩١
٦ ـ آداب العطاس	٩٢
٧ ـ آداب التثاؤب	٩٢
ثانياً : آداب التعلم	٩٣
١ ـ ما يتعلمه في المدرسة « تعليم القرآن الكريم »	٩٣
٢ ـ تعلم بعض الآداب الشرعية	٩٥
ثالثاً : الآداب الاجتماعية	٩٧
رابعاً : آداب التعامل	٩٩

تابـــع المحتويـــات

الموضـــــــوع	الصفحـــة
١ ـ آداب التعامل مع الوالدين ومن في مكانهما	٩٩
٢ ـ آداب المعاملة	١٠٠
الفصل الخامس	
التصور المقترح للتربية الخلقية في المدرسة الإبتدائية في ضوء آراء أبي حامد الغزالي	
أولاً : التعريف بالمدرسة الإبتدائية	١٠٥
* مفهوم المدرسة الإبتدائية بشكل عام	١٠٥
ثانياً : أهداف التعليم الإبتدائي بشكل عام	١٠٦
ثالثاً : مكانة التعليم الإبتدائي ضمن السلم التعليمي العام	١٠٧
رابعاً : التعريف بالمدرسة الإبتدائية في المملكة العربية السعودية	١٠٨
* مفهوم المدرسة الإبتدائية في المملكة	١٠٨
خامساً : أهداف التعليم الإبتدائي في المملكة العربية السعودية	١٠٩
سادساً : مكانة التربية الخلقية ضمن أهداف التعليم الإبتدائي	١٠٩
سابعاً : مطالب النمو لطفل المرحلة الإبتدائية من (٦ ـ ١٢) سنة	١١٠
* طبيعة الطفل بالمرحلة الإبتدائية	١١٠
١ ـ النمو الجسمي	١١٠
٢ ـ النمو العقلي	١١١
٣ ـ النمو الاجتماعي	١١١
٤ ـ النمو العاطفي	١١٢
٥ ـ النمو الروحي	١١٢
ثامناً : النمو الأخلاقي كمطلب هام من مطالب النمو	١١٣
* التربية الخلقية وطرق تضمينها في المدرسة الإبتدائية	١١٣
١ ـ الطريقة المباشرة	١١٤

تابـــع المحتويـــات

الموضـــــــوع	الصفحـــة
٢ ـ الطريقة غير المباشرة	١١٦
أ ـ بث التربية الخلقية في جميع المواد الدراسية	١١٦
ب ـ بث التربية الخلقية عن طريق بعض الأساليب والمبادىء التي اتخذها الغزالي لإكساب الطفل التربية الخلقية	١٢١
١ ـ تربية الأطفال خلقياً عن طريق بعض أساليب التربية عند الغزالي	١٢١
* القدوة	١٢١
* مراقبة الأطفال	١٢٣
* اللعب	١٢٤
٢ ـ تربية الأطفال خلقياً عن طريق بعض المبادىء التربوية لإكساب التربية الخلقية عند الغزالي	١٢٥
* الفروق الفردية	١٢٥
* العقوبة	١٢٦
* بعض المبادىء والقيم والمعايير الخلقية	١٢٧
٣ ـ تربية الأطفال خلقياً عن طريق بعض المؤسسات التربوية ذات العلاقة بالطفل	١٢٩
* الأسرة	١٢٩
* البيئـــة	١٣٠
الخاتمـــة	
* النتائـــج	١٣١
* التوصيات	١٣٤
* المصادر والمراجع	١٣٩

الفصل التمهيدي

خطة البحث

* المقدمة .
* موضوع البحث .
* تساؤلات البحث .
* أهداف البحث .
* أهمية البحث .
* حدود البحث .
* منهج البحث .
* الدراسات السابقة .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (آل عمران : ١٠٢)

وقال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ (النساء : ١)

وقال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ (الأحزاب ٧٠ ـ ٧١)

يُعد النمو الخلقي أحد أهم جوانب النمو الاجتماعي للشخصية والتي تنمو جنباً إلى جنب مع الجوانب الأخرى .

فبناء الأخلاق يعتبر أساساً لبناء مجتمع حضاري ، والحكم على مدى تقدم أمة أو تدهورها يعتمد على مدى إلتزامها بالقيم الخلقية .

وقد إهتمت الشريعة الإسلامية إهتماماً كبيراً بالأخلاق وجعلتها الأساس لكل الأعمال .

ولا شك أن التطور الحاصل في الحضارة ووسائل الاتصال جعل بعض الأفكار والممارسات الدخيلة على المجتمع الإسلامي والأخلاق الإسلامية تتسرب إلى مجتمعنا الإسلامي ، فظهرت فئة من الشباب والشابات في المجتمع الإسلامي يقومون ببعض الممارسات وبأنواع من السلوك مخالفة للأخلاق الإسلامية والتي حث عليها الرسول ﷺ ، وأوجبتها الشريعة الإسلامية .

وإذا كان إصلاح الشباب يبدأ من الصغر في الأسرة ، والمدرسة ، والمجتمع المحيط به ، فإن المدرسة الإبتدائية تعد من أهم المؤسسات التربوية المنوط بها دور أساسي وهام في التربية الخلقية ، أو بمعنى آخر في بناء الأخلاق وتقويمها لدى الناشئة ، من خلال المناهج المختلفة التي تقدمها ، بالإضافة إلى دور معلمي تلك المرحلة في البناء والتقويم الأخلاقي لدى التلاميذ ، باعتبارهم القدوة الحسنة لهم في هذه السن ، وحيث إن المعلمين مطالبون بالعمل للتصدي لكل ما هو مخالف للأخلاق والعادات الإسلامية ، وذلك بغرس الأخلاق الإسلامية في نفوس تلاميذهم ، أو تحصينهم ضد الإنحراف الحاصل في خلُق الطفل ، فهؤلاء المعلمون هم أشبه بالطبيب الذي يعطي اللقاح ضد المرض لتحصين الطفل من الإصابة بالمرض إذا انتشر ، وهذا مما يشير إلى عظم مهمة المعلم .

فالأخلاق الإسلامية في المجتمع الإسلامي تستمد جذورها من المصدرين الأساسيين الكتاب والسنة النبوية لذلك فأساسهما رباني غير قابل للتغيير أو التعديل ولن يطرأ عليه تحريف كما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة .

لذلك فالباحث يريد من خلال التربية الخلقية عند عالم جليل من علماء الإسلام وهو أبو حامد الغزالي ، أن يضع تصوراً للتربية الخلقية في المدرسة الإبتدائية في العصر الذي نعيش فيه .

الموضـــوع :

لا شك أن المرحلة الإبتدائية مهمة وضرورية في حياة الطفل خصوصاً في البلاد النامية ، حيث تعجز الأسرة عن القيام بواجبها كما ينبغي نتيجة الجهل أو عدم تعليم الأسرة فهي غالباً ما تشكل شخصية الطفل وتوجهاته ، لأن الطفل في هذه المرحلة يتقبل كل أنواع التوجيه ، فهو ما زال خامة جيدة يستطيع الإنسان تشكيلها حسب ما يريد .

وهذه الفترة تكون حرجة بالنسبة للطفل فهي تشهد تكوين علاقات صداقة مع زملائه في الفصل والمدرسة ، تشعره بشيء من الاستقلالية ، وتكوين الذات ،

وما تصاحب هذه التجربة من تجاوزات وتمرد على بعض ما ألفه في المنزل ، مع تأثره بأصدقائه الجدد وبأخلاقهم سلباً وإيجاباً .

ومن خلال ممارستي لعملية التدريس لتلاميذ المرحلة الإبتدائية ، تكشفت لي بعض الجوانب التي ربما تكون خافية على الكثير وظهرت لي بعض الممارسات الخاطئة في المدرسة والتي يكون ضحيتها الأطفال الصغار ، حيث لاحظت مثلاً أن التلاميذ يكذبون ولعل السبب راجع إلى تأثرهم برفاق اللعب ، أو إلى المنزل .

ولعل التناقض العجيب الذي يلمسه الطفل بين ما يدرسه في المدرسة وما يشرحه له أستاذه في الفصل ، واعتقاده أنه هو الصحيح ويجب تطبيقه ، وبين ما يحدث في المجتمع من حوله ، وما يراه في المنزل والشارع إلى غير ذلك من التصرفات ، يدعوه إلى التساؤل عن مصداقية الكتب الدراسية وما يتعلمه الطفل في المدرسة ، ثم يفكر الطفل ملياً أي الجانبين على صواب ؟ هل هو أستاذه ، ومديره ، ومن في المدرسة ؟ أم هو أبوه ، وأمه ، ورجال الحي ، والكبار من الناس في كل مكان ؟ ممن يفترض فيهم أنهم لا يخطئون ؟؟.

يقول (الكيلاني ، ١٤١٢ هـ) : « ولعل التطور الصناعي والتقني الهائل الذي حصل في الوقت الحاضر ، ومظاهر الحضارة الحديثة ، قد أوجدت بعض الإختلال من العادات الاجتماعية ، أو أوجدت علاقات اجتماعية جديدة يمكن أن تؤدي بالأخلاق إلى الإنهيار والإنحلال » (ص ٩) . لذلك كانت الضرورة ماسة جداً إلى تحديث أساليب التربية خصوصاً التربية الخلقية للسيطرة على المستجدات الخلقية المصاحبة للحضارة الحديثة .

وابتداء من القرن الثاني الهجري ظهر بعض العلماء المسلمين في شتى المجالات ومنها التربية والاجتماع ، والذين كان لهم الأثر الكبير في تقدم العلوم الإنسانية وصبغها بالصبغة الإسلامية بحيث تتوافق مع ما جاءت به الشريعة

الإسلامية حتى صاروا ممن يقصدهم الدارسون من كل أنحاء الأرض للتتلمذ على أيديهم وأخذ العلم منهم ، ولعل ما كتبوه عن التربية والأخلاق يغنينا عما كتبه سواهم لأن ما كتبوه يلائم المجتمع الإسلامي بسبب اعتمادهم على القيم والمبادىء التربوية الإسلامية ، وتكييف الآراء الأخرى وفق تعاليم الشريعة الإسلامية .

كما أن الأخلاق الإسلامية تعد ميزاناً لعمل المسلم ، ولعل قول المصطفى ﷺ خير دليل على ذلك حين قال : « إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً » .

(فتح الباري ، ص ٤٧٠ ، م ١٠ ، حديث ٦٠٣٥ ـ صحيح مسلم ، ص ١١٣ ، م ١٥ ، حديث ٢٣٢١)

وسيقوم الباحث في هذا الموضوع بدراسة التربية الخلقية عند أحد علماء المسلمين وهو أبو حامد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) .

بهدف الوقوف أو التعرف على : مدى إمكانية القول أن ما قاله أبو حامد الغزالي ونادى به ودعا للعمل به في تأديب الطفل وطرق تربيته والخطوات الواجب إتخاذها لتعليمه الخلق الحسن يكاد يكون أساس بناء التربية الأخلاقية في المدرسة الإبتدائية .

تساؤلات البحث :

يتحدد موضوع البحث من السؤال الرئيس التالي :

ما مدى استفادة المدرسة الإبتدائية من التربية الخلقية عند أبي حامد الغزالي ؟

ويتفرع من السؤال الرئيس أسئلة تالية سيقوم الباحث بالإجابة عنها خلال بحثه .

١ ـ ما مفهوم التربية الخلقية عند أبي حامد الغزالي ؟

٢ ـ ما أهم أساليب التربية الخلقية عند أبي حامد الغزالي ؟

٣ ـ ما التصور المقترح للتربية الخلقية في المدرسة الإبتدائية في ضوء آراء أبي حامد الغزالي في التربية الخلقية ؟

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى :

ـ التعرف على مفهوم التربية الخلقية عند أبي حامد الغزالي وأساليبها .

ـ الاستفادة من آراء أبي حامد الغزالي لوضع تصور للتربية الخلقية في المدرسة الإبتدائية .

أهمية البحث :

تتجلى أهمية التربية الخلقية من خلال أقوال بعض الباحثين حيث يقول :

(يالجن ، ١٣٩٧ هـ) « إن النقص الحاصل من إهمال التهذيب ، وعدم التخلق بالأخلاق الحسنة أشد وأضر على الإنسان من نقص التعليم ، لأن العلم يمكن تداركه في الكبر ، أما التهذيب وتحسين الخلق فلا يصلح شأنه بعد إنقضاء فترة الطفولة » (ص ١٢٦) .

ويضيف (يالجن ، ١٣٩٧ هـ) : « لعل أهم دور للتربية الخلقية ـ في نظر الإسلام ـ أنها الوسيلة الوحيدة لبناء خير فرد ، وخير مجتمع ، وخير حضارة ، وتكون العلاقة بين هذه الجوانب في أن بناء خير فرد وسيلة لبناء خير مجتمع ، وبناء خير مجتمع وسيلة لبناء خير حضارة ، ولعل الغاية من هذا كله تحقيق سعادة عامة وشاملة في المجتمع » (ص ١٣١) .

وأشار (الميداني ، ١٤٠٧ هـ) إلى أنه متى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط لإنسجام الإنسان مع أخيه الإنسان ، تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا وتناهبوا مصالحهم يؤدي ذلك إلى الإنهيار ثم الدمار .

إننا لو تصورنا مجتمعاً انعدمت فيه مكارم الأخلاق، فكيف يكون هذا المجتمع؟ وكيف تكون الثقة بالعلوم والمعارف والأخبار وضمان الحقوق لولا فصيلة الصدق ؟

وكيف يكون التعايش بين الناس في أمن واستقرار ؟ وكيف يكون التعاون بينهم لولا فضيلة الأمانة ؟

وكيف تكون أمة قادرة على إنشاء حضارة مثلى ، لولا فضائل التآخي والمحبة والإيثار ؟

وكيف يكون الإنسان مؤهلاً لإرتقاء مراتب الكمال الإنساني ، إذا كانت أنانيته مسيطرة عليه ، تصرفه عن كل عطاء وتضحية وإيثار ؟

ولقد دلت التجارب الإنسانية والأحداث التاريخية أن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة ، وأن انهيار القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لإنهيار أخلاقها ، فبين القوى المعنوية والأخلاق تناسب طردي دائماً صاعدين وهابطين (ص ٣٤) .

ومن خلال ما سبق ذكره تتضح أهمية التربية الخلقية في الآتي :

١ ـ بناء المجتمع الإسلامي المتمسك بتعاليم دينه وترسيخ دعائمه ، وعدم التأثر بالأخلاقيات غير الإسلامية المحيطة به .

٢ ـ حاجة المعلم لها خصوصاً معلم المرحلة الإبتدائية لكونها الأساس في بناء شخصية التلميذ .

حدود البحث :

ركز الباحث في بحثه على أفكار أبي حامد الغزالي عن التربية الأخلاقية من خلال كتابه : إحياء علوم الدين .

منهج البحث :

استخدم الباحث في دراسته المنهج الاستنباطي الذي يعني أن يبذل الباحث أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص لاستخراج المبادىء التربوية منها والأدلة المدعمة لها (فودة ، ١٤١٠ هـ ، ص ٤٢).

وهو المنهج الذي يعرفه (عبيدات ، ١٩٨٧ م) على أنه دراسة ما هو موجود وتفسيره والعمل على تحديد العلاقات بين الوقائع والممارسات الشائعة والاتجاهات المختلفة . (ص ٢٣٥) .

وتطبيقاً لذلك قام الباحث بتحليل بعض كتابات الإمام الغزالي وبعض ما كتب عنه لاستنباط أبعاد التربية الخلقية عنده لوضع تصور لإمكانية استفادة المدرسة الإبتدائية منها .

الدراســات السابقــة :

١ ـ قام محمد نبيل نوفل بدراسة هدفت إلى التعرف على : « أبو حامد الغزالي وآراؤه التربوية في التربية والتعليم » (عام ١٩٦٧ م) .

وكانت الدراسة من ثمانية فصول احتوى الفصل الأول على نبذة عن حياة الغزالي وعصره . واحتوى الفصل الثاني على كتابات عن الإنسان والمجتمع . ثم أفرد الفصل الثالث عن نظرية المعرفة . وكان موضوع الأخلاق هو الفصل الرابع . أما الفصل الخامس فقد تحدث عن التربية ، وماهيتها ، ومبادئها . وفي الفصل السادس كان عن مفهوم العلم . أما الفصل السابع فقد كان عن مناهج التعليم ، وطرق التدريس. وفي الفصل الأخير تحدث الباحث عن العلماء والمعلمون والتلاميذ.

ويلاحظ الفرق بين هذه الدراسة والدراسة الحالية ، في أنها تناولت آراء الغزالي التربوية في التربية والتعليم ، بينما الدراسة الحالية تركز على التربية الأخلاقية فقط عند أبي حامد الغزالي ومدى الاستفادة منها في المدرسة الإبتدائية.

وقد كان الفصل الرابع هو الفصل الوحيد الذي يمكن الاستفادة منه في الدراسة الحالية .

٢ ـ قامت الباحثة وداد أحمد الظهار بدراسة عن « القيم الأخلاقية في برامج التربية الدينية بالمرحلة الإبتدائية في المملكة العربية السعودية » (عام ١٤٠٢/١٤٠٣ هـ) هدفت الدراسة إلى الوقوف على مدي تحقيق البرامج الدينية للقيم الأخلاقية لطالبات المرحلة الإبتدائية في المملكة العربية السعودية.

وقد تناولت الباحثة في الفصل الأول عن حقيقة التربية وعلاقتها بالدين . وفي الفصل الثاني تحدثت عن ملامح الحياة في العالم الإسلامي المعاصر ، وثقافته السائدة وأنها مستمدة من ثقافة المستعمر . ثم تعرضت الباحثة في الفصل الثالث

للمناهج الحالية في العالم الإسلامي ، ومنهج التربية الدينية في معظم البلاد الإسلامية . ثم أفردت الفصل الرابع عن برامج التربية الدينية للمرحلة الإبتدائية في المملكة العربية السعودية ، (بنات) للوقوف على مدي تحقيقها للقيم الأخلاقية . وفي الفصل الخامس قامت الباحثة بإجراء دراسة ميدانية للوقوف على آراء معلمات وموجهات التربية الدينية حول مدى تحقيق برامج التربية الدينية .

وقد توصلت الباحثة إلى النتائج التالية :

صياغة موضوعات العقيدة على شكل سؤال وجواب حتى يسهل فهمها واستيعابها ، والربط بين الحقائق وواقع الطالبات وحياتهن المعاصرة وتحديد القيم الأخلاقية التي يمكن أن تكتسبها الطالبات من واقعهن ، وأن تناسب المواضيع المستوى العقلي والإدراكي للطالبات .

ونلاحظ أن الدراسة تركز على القيم الأخلاقية من مناهج التربية الدينية في المدارس الإبتدائية ، بينما الدراسة الحالية تركز على التربية الخلقية في جميع المناهج الدراسية .

٣ ـ قامت عفاف محمد سعيد أحمد باجراء دراسة : الغزالي دراسة آرائه التربوية في المعلم والمتعلم ونظرة التربية المعاصرة لها (عام ١٤٠٦ هـ) .

تكون البحث من خمسة فصول. كان الفصل الأول عن عصر الغزالي وحياته . أما الفصل الثاني فكان عن المبادىء العامة للتربية عند الغزالي . وكان الفصل الثالث عن آراء بعض المفكرين الإسلاميين في المعلم، وأهميته في العملية التعليمية. أما في الفصل الرابع فكان عن وظائف المعلم ، وصلته بالمتعلم ، في نظر الغزالي . أما الفصل الخامس فكان مقارنة بين المعلم في القديم والحديث ، أو المعلم في المجتمع العصري .

وقد خرجت الباحثة بنتيجة مهمة وهي :

أن أفكار الغزالي وآرائه التربوية في المعلم والمتعلم كانت هي الأفكار الرئيسية التي لا تزال تحكم العملية بشكل رئيسي ، وإن كان للمحدثين فضل وضعها في مسميات جديدة داخل أطر ومصطلحات فلهم فضل الإخراج وله وحده فضل التأسيس والريادة .

ومما سبق يتضح أن الدراسة السابقة قد ركزت على آراء الغزالي التربوية في المعلم والمتعلم ونظرة التربية المعاصرة لها وأن الاستفادة منها في الدراسة الحالية محدودة جداً ، بينما الدراسة الحالية سوف تركز على التربية الأخلاقية فقط عند الغزالي ومدى استفادة المدرسة الإبتدائية منها .

ونلاحظ في الفصل الثاني من الدراسة السابقة أن هناك بعض التشابه مع الدراسة الحالية بصورة إجمالية .

٤ ـ قام سيد عباس ملا يحيى بدراسة هدفت إلى التعرف على (العلاقة بين العالم والمتعلم عند الإمام الغزالي) عام ١٤٠٦/١٤٠٧ هـ .

وكان بحثه من خمسة فصول تحدث في الفصل الأول عن نبذة من حياة الغزالي وعن عصره وانعكاس ذلك على فكره .

وفي الفصل الثاني تحدث عن العلاقات الإنسانية بين المعلم والمتعلم ومسؤولية المعلم في تشكيل العلاقات الإنسانية .

وفي الفصل الثالث تحدث عن آداب المعلم وصفاته الإنسانية من وجهة نظر الغزالي ، وفي الفصل الرابع تحدث عن آداب المتعلم عند الغزالي ، وذكر التوصيات والنتائج في الفصل الخامس .

ومن أهم النتائج لهذه الدراسة هي :

- أن وجود المعلم الرباني أمر أساسي في العملية التربوية .
- وأن مهنة التعليم في نظر الغزالي ليست كالمهن الأخرى مادية فقط بل إنها عبادة وخلافة .
- وأعطى الغزالي الكثير من الحقوق على معلميهم وذلك لضمان أداء وظيفته على أحسن وجه عند أداء تلك الحقوق .
- يعد الثواب المدرسي في نظر الغزالي أكثر تأثيراً من العقاب في دفع المتعلم إلى تكرار الفعل المثاب عليه .
- أن يعتمد المعلم في تدريسه على التدريج وإعطاء المعرفة شيئا فشيئاً .

ومما سبق يتضح أن الدراسة السابقة قد ركزت على العلاقة بين العالم والمتعلم فقط عند أبي حامد الغزالي وصفات كل منهما ، وما يجب أن يتحلوا بها من صفات . بينما الدراسة الحالية سوف تركز على التربية الخلقية عند الغزالي .

الفصل الأول

التعريف بالإمام أبي حامد الغزالي

* نسبه .
* مولده .
* نشأته العلمية .
* عصر الغزالي .
* أساتذته وتلاميذه .
* مؤلفات الغزالي .
* طريق الغزالي في نقد الفلسفة .

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالإمام أبو حامد الغزالي

(٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) ـ (٥٠٥ هـ / ١١١١ م)

نسبـــه :

هو أبو حامد زين الدين بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي المشهور بالغزالي ، وسمي بأبي حامد نسبة إلى ابن له توفاه الله صغيراً .

(الشرباصي ، ١٣٩٥ هـ ، ص ٢١ ، الحاج ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٢٩)

مولـــده :

ولد بطوس[١] سنة ٤٥٠ هـ الموافق ١٠٥٨ م (السبكى ، د . ت ، جـ ٦، ص ١٩٣) وقد سمي بالغزالي لما روى من أنه ولد في قرية (غزّاله) من قرى طوس ، وقد أكد هذه الرواية أبو سعيد السمعاني الذي ولد بطوس بعد الغزالي بسنتين في كتاب له مشهور في الألقاب . ويقول آخرون إنه سمي (غزّالي) لأن والده كان يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس ، وقد ضبط إبن خلكان الكلمة بالشكل . (الشرباصي ، ١٣٩٥ هـ ، ص ٢١) .

ومما يؤيد الرواية الأولى قول الفيومي في المصباح أن (غزّاله) قرية من قرى طوس وإليها ينسب أبو حامد الغزالي ، وقال أخبرني بذلك مجد الدين أحد أحفاد ست النساء بنت أبى حامد الغزالي في بغداد ، وقال لى : أخطأ الناس في تثقيل إسم جدنا ، وإنما هو مخفف نسبة إلى غزاله القرية المذكورة . (رضا، ١٣٤٣ هـ ، ص ٤٤) .

---

(١) مقاطعة في خراسان شمالي شرقي إيران تسمى الآن « مشهد » وهى عاصمة بلاد خراسان (فارس) قديماً .

نشأته العلمية :

قبل وفاة والده أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له، وقال له: إنى آسف جداً لعدم التعلم، وأشتهى استدراك ما فاتني في ولدىّ هذين فعلمهما، ولا عليك أن ينفذ في ذلك جميع ما أخلفه لهما، فلما مات أقبل الرجل على تعليمهما إلى أن إنتهى ذلك القدر القليل من المال الذي خلفه لهما أبوهما، وتعذرت النفقة عليهما فقال لهما: إني قد أنفقت عليكما كل ماخلفه لكما أبوكما وأنا رجل فقير لا مال لي، وأصلح ماأرى لكما أن تلجآ إلى مدرسة كأنكما من طلبة العلم، وكان ذلك هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما. (السبكي، د . ت ، جـ ٦، ص ١٩٣ ـ ١٩٤) ، ويقول الغزالي عن نفسه « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله » . (محمود ، ١٣٩٤ هـ ، ص ٧٥) .

وقد إلتحق الغزالي بإحدى المدارس الدينية لتعلم الفقه وكان ذلك على يد أستاذه أحمد بن محمد الراذكاني الطوسي . ثم سافر إلى جرجان إلى الإمام أبي القاسم إسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي، وأخذ عنه التعليقه[١] في الفقه، ثم تطلع إلى مجال أكبر في طلبه للعلم فرحل إلى نيسابور ليطلب العلم على إمام الحرمين[٢]، حيث بدأ نجم الغزالي في الظهور ، وساعده على ذلك استعداد ملهم منذ الصغر ، ورغبة قوية في التعلم ، ونهم شديد في البحث والإطلاع ، ولكن موت أستاذه إمام الحرمين ومحاولته إرضاء طموح شبابه ، وإعتزازه بعلمه ، عن طريق المشاركة في المعترك العلمي الواسع الذي يحيط بنظام الملك ذلك الوزير المشجع للعلماء ، الذي تفيض يداه بالمنح لهم، وتطلعه إلى التألق العلمي جعله يشد الرحال إلى « المعسكر »[٣] في عام ٤٧٨ هـ متوجهاً إلى الوزير السلجوقي نظام الملك فلقي

---

(١) المراد بالتعليقه هنا ما يشبه الكتاب يتضمن نقولاً ومذكرات علقها الغزالي عن شيخه في فروع الفقه الشافعي .

(٢) إمام الحرمين : أبي المعالي ضياء الدين عبدالملك بن أبى محمد عبدالله بن يوسف الجويني النيسابوري .

(٣) المعسكر : هو ميدان واسع بجوار نيسابور أقام به الوزير السلجوقي نظام الملك معسكره وكان يسمى « المخيم السلطاني » .

منه تكريماً عظيماً ، تولى بعده التدريس في المدرسة النظامية ببغداد بتكليف من نظام الملك وذلك عام ٤٨٤ هـ وهو في الرابعة والثلاثين من عمره وكان يحضر درسه أربعمائة عالم من أكابر الناس وأفضلهم . منهم : إبن عقيل ، وأبو الخطاب من رؤوس الحنابله ، وبعد أن علت درجته في بغداد ودار الخلافة ، إنتزع لنفسه لقب « إمام العراق » بعد أن إنتزع في نيسابور لقب « إمام خراسان » . (الشرباصي ، ١٣٩٥ هـ ، ص ٢٦ ـ ٣١ ، ١٩٥) .

ثم خرج من بغداد مظهراً عزمه الخروج إلى مكة ، وهو يريد السفر إلى الشام ، حتى إذا وصل إلى الشام أقام بها سنتين لا شغل له إلا العزلة والخلوة والمجاهدة ، وكان يعتكف في منارة مسجد دمشق طوال النهار ، ثم رحل إلى بيت المقدس فكان يدخل كل يوم الصخرة ويغلق بابها على نفسه ، ثم سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وزيارة مسجد الرسول ﷺ ، واستمرت هذه الفترة عشرة سنوات ألف فيها كتاب الإحياء . (محمود ، ١٣٩٤ هـ ، ص ٣٧) .

ثم رجع الإمام الغزالي إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ وحدَّث بكتاب الإحياء ثم عاد إلى خرسان ودرّس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة ، ثم رجع إلى طوس وأتخذ بجانب داره مدرسة وخانقاه[1] ووزع أوقاته على ختم القرآن الكريم ، والتدريس لطلبة العلم ، وإدامة الصلاة وسائر العبادات إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى . (السبكي ، د . ت ، ص ٢٠٠) .

وعندما حضرته الوفاة في يوم الاثنين الرابع من جمادى الأولى سنة ٥٠٥ هـ (١١١١ م) ، سأله بعض أصحابه قائلاً : أوصني ، فقال له : « عليك بالإخلاص » ـ ويقصد به كتاب الاحياء ـ ولم يزل يكررها حتى الموت . (محمود ، ١٣٩٤ هـ ، ص ٤١) .

---

(١) خانقاه : كلمة فارسية تطلق على المباني التي تقام لإيواء الصوفية الذين يخلون فيها للعبادة وأيام العثمانيين أطلقت عليها تكايا . (غربال ، ١٤٠١ هـ ، ص ٧٥٠) .

عصر الغـــزالي :

أ ـ الحيـاة الفكريـــة :

نشطت الحياة الفكرية في هذا العصر ، وراجت الثقافة وكثر في بلاط الحكام العلماء والشعراء والأدباء وغيرهم ، رغبة من الحكام في تحقيق بعض الأغراض السياسية بمساعدة أهل الثقافة والعلم ، إضافة إلى تأسيس نظام الملك وزير السلطان ملك شاه السلجوقي المدرستين المشهورتين اللتين تعرفان باسم المدرسة النظامية في بغداد ونيسابور .

وتميز عصر الغزالي بتعدد المذاهب ، والفرق الدينية ، والإتجاهات الفكرية المتعارضة من علماء الكلام ، والفلاسفة ، والمتصوفة ، والباطنية . وغيرهم ممن علت أصواتهم تدعو بإسم الحق إلى الضلال والإفساد ، وفي هذا الجو المضطرب وجد الغزالي نفسه مسئولاً عن وضع حد لهذه الاضطرابات الفكرية والعمل على استقرار الحياة الإسلامية ، لذلك كان عليه أن يقوم بدراسة نقدية لأحداث عصره والتيارات الفكرية فيه . (الجنبلاطي ، د . ت ، ص ١٠٥) .

ويصف الغزالي التطورات الفكرية التي سادت عصره فيقول : « ولم أزل في عنفوان شبابي حتى سن الخمسين وأنا أقتحم لجة بحر المعرفة العميق ، وأخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوض الجبان الحذور ، وأتوغل في كل مظلمه ، وأتهجم على كل مشكلة ، وأتقحم على كل ورطه ، وأتفحص عن عقيدة كل فرقه ، واستكشف أسرار مذهب كل طائفة ، لأميز بين محق ومبطل ومتسنن ومبتدع » . (محمود ، ١٣٩٤ هـ ، ص ٤١) .

وقد مرت بالإمام الغزالي فترة كان منغمساً في المال ، والحياة، والشهرة ، بدأ فيها الصراع بين الشهوات والدنيا من جانب ، ودار الخلود من جانب آخر، حتى إنتهى به الأمر أن كف لسانه عن التدريس ، وحزن حتى ضعفت قوته وهزلت صحته ، يقول الغزالي عن تلك الفترة من حياته : « ثم أحسست بعجزى ، وسقط بالكليه إختياري إلتجأت إلى الله تعالى . إلتجاء المضطر ، الذي لا حيلة له ،

فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه وسهل على قلبي الإعراض عن الحياه ، والمال ، والأولاد ، والأصحاب » . (محمود ، ١٣٩٤ هـ ، ص ٣٦) .

ونتيجة لهذا الصراع وجد الإمام الغزالي ضالته في مذهب الصوفية كما يقول الغزالي . وقد نشط الطلب على تلقي العلم في عصر الإمام الغزالي ، ومن أسباب
" تطلع العلماء إلى نيل مكانة لدى الخلفاء والحكام ، في المقابل كان الحكام
" تقريب العلماء ليؤيدوا سلطانهم الدنيوي بسلطان هؤلاء الديني ، كما
صر بعض الدراسات الإسلامية مثل الدراسات القرآنية ،
، ومن ناحية أخرى فقد شاعت في هذا العصر أفكار
ض العلماء والحكام يجابهون هذه النزعات

العلمي » فكان هناك إسراف في
بلبلة فكرية وعقدية ، أتاحت

اصي، ١٣٩٥ هـ ، ص ١٠ ـ ١٩) .

ومم ـلىء بالتيارات الفكرية المختلفة ،
والتي كان من أترف صـ صلح ، ثم اعتناقه لمذهب الصوفية
لاعتقاده بأنه قد وجد فيه ضالته .

ب ـ الحياة الدينية :

لقد ظهر الخلاف الديني واضحاً في هذا العصر بين أهل السنة والشيعة بدوافع سياسية ، ومذهبية، فقد كان السلاجقة ومنهم نظام الملك يؤيد المذهب السني، ونرى الفاطميين يؤيدون المذهب الشيعي، والأيوبيين ومنهم صلاح الدين من مؤيدي المذهب السنى أيضاً، في حين أن السلاجقة أنفسهم كانوا على عدة مذاهب سنيه فهذا وزيرهم « عميد الملك » منصور بن محمد الكندي متعصباً للمذهب الحنفي، في

وفي هذا العصر ظهرت فرقه « الإسماعيلية أو الباطنية » ، وهى تقوم على العدوان، وسفك الدماء ، فقد قتل أحد الباطنيين « نظام الملك » سنة ٤٨٥ هـ ، وقتل آخر « فخر الملك » إبن الوزير « نظام الملك » سنة ٥٠٠ هـ ، فلما قويت شوكتهم نهض الخليفة « المستظهر » لمقاومتهم، وبيان ضلالهم ، وأيده في ذلك الغزالي وألّف في ذلك كتابه « المستظهر » الذي سرد فيه فضائح الباطنية ؛ كما امتاز هذا العصر بوجود طوائف من المسيحيين كما في « طوس » ومن الطبيعي أن تحدث إحتكاكات في مثل هذه البيئة ويحس بها الغزالي ، وهذا ما دفعه إلى الإطلاع على تعاليم المسيحية وكتبها، فيما ظهر عدو مشترك للعلماء والحكام هو « الفلسفة والفلاسفة » فاعتبره المسلمون وباءً هبوا إلى مواجهته (الشرباصي ، ١٣٩٥ هـ ، ص ١٠ ـ ١٧).

كما ظهرت في هذا العصر طائفة « النزاريه »[1] والذين كان لهم دور كبير في حياة سلاطين السلاجقة ، والخلفاء الفاطميين ، والعباسيين ، فقد عملوا على وراثة الفاطميين سياسياً ودينياً وعارضوا العباسيين باعتبارهم الوارثين الحقيقيين لعلى وفاطمه . (حسن ، ١٣٨٧ هـ ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨) .

وحين تولي صلاح الدين الوزارة في عهد الخليفة العاضد وجه اهتمامه إلى القضاء على المذهب الشيعى مذهب الفاطميين ، فأنشأ المدرسة الناصرية لتدريس المذهب الشافعي الذي كان صلاح الدين ينتسب إليه ، كما أنشأ على مقربة من هذه المدرسة المدرسة القمحية لتدريس الفقه المالكي ، وقد عزل صلاح الدين قضاة الشيعة ، وأسند قضاء مصر إلى قاضى القضاة صدر الدين عبدالملك بن درباس الشافعي المذهب، فأناب قضاة الشافعية في كل أنحاء البلاد ، وبهذا استعاد المذهب السني قوته ، وأخذ المذهب الإسماعيلي في الضعف حتى زال ولم يبق له في مصر أنصار . (حسن ، ١٣٨٧ هـ ، جـ ٤ ، ص ٦١٩) .

---

(١) النزاريه : تكونت بعد إنقسام الإسماعيليه إلى فريقين أحدهما نادي بإمامة المستعلي والآخر نادى بإمامة نزار إبني المستنصر الفاطمي .

كل هذه المؤثرات والحوادث كان لها أكبر الأثر في حياة الإمام الغزالي وفكره وتدريسه في المدارس النظامية التي تنتسب إلى المذهب السني كان له الأثر في عمله .

جـ ـ الحياة السياسية :

لقد عاش الغزالي في نهاية القرن الخامس الهجري أي في العصر العباسي الثاني ، الذي كان مليئاً بالأحداث والاتجاهات ، واتساع في الدولة وتصارع القوى فيها وتكوين الدويلات وما إنتاب العالم الإسلامي من التفكك والإنحلال من وجود هذه الدويلات ، إضافة إلى إصابة الخلافة العباسية بالضعف والوهن . ولا ننسى دور هذه الدويلات الإيجابي في النهضة العلمية في بلاط كل من الغزنويين في الشرق ، والفاطميين والأيوبيين في مصر ، والأمويين في الأندلس ، والمرابطين والموحدين في المغرب .

ومن أسباب ضعف الخلافة العباسية سهولة السيطرة على بعض الخلفاء من الوزراء وبعض النساء ، فقد استغلت هذه العوامل لهدم الخلافة ، فقد كان للسلاجقة مثلاً سلطان كبير في هذا العصر حتى رأينا الخليفة العباسي « القائم بأمر الله » يمنح « طغرل بك » زعيم السلاجقة لقب « السلطان » بعد أن حاول أحد الموالين للفاطميين أن يخلع الخليفة ، فيعيده « طغرل بك » إلى الخلافة فكافأه الخليفة بهذا اللقب . (إبن الأثير ، ١٤٠٠ هـ ، جـ ٨ ، ص ٨٧ ، ١١٥) .

لذلك فقد أصبحت السلطة الفعلية في يد السلاجقة وأقتصر أمر الخلافة العباسية على السلطة الروحية تقريباً ، ولا ننسى دور السلاجقة المهم في مقاومة الغزو الصليبي الأوربي . (الشرباصي ، ١٣٩٥ هـ ، ص ١٠) .

أساتذتـــه :

تتلمذ الإمام الغزالي على يد كثير من العلماء منهم أساتذة في الفقه هم : أبو حامد أحمد بن محمد الراذكاني الطوسي ، وأبو القاسم الإسماعيلي ، وإمام الحرمين الجويني .

أما أساتذته في الحديث فهم : أبو سهل محمد بن أحمد بن عبدالله الحفصي المروزي ، والحاكم أبو الفتح نصر بن على بن أحمد الحاكمي الطوسي ، وعبدالله بن محمد بن أحمد الخوازي ، ومحمد بن يحى السجاعي الزوزني ، ونصر بن إبراهيم المقدسي ، وعمر بن أبى الحسن الرؤاسي الدهستاني . (الشرباصي ، ١٣٩٥ هـ ، ص ٣٢) .

تلامذته :

أما تلامذة الإمام الغزالي فهم كثيرون نذكر منهم : القاضي أبو نصر أحمد ابن عبدالله الخمقري المتوفى سنة ٥٤٤ هـ ، والإمام أبو الفتح أحمد بن على بن محمد بن برهان المتوفى سنة ٥١٨ هـ ، وأبو منصور محمد بن إسماعيل العطاري المتوفى سنة ٥٧٣ هـ ، وأبو سعيد محمد بن أسعد الشوقاني المتوفى سنة ٥٥٤ هـ، وأبو عبدالله بن تومرت المهدي، وأبو حامد الإسفراييني، وأبو عبدالله محمد العراقي البغدادي ، وأبو سعيد محمد بن يحي النيسابوري المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، وأبو سعيد محمد بن على الجاواني ، وأبو طاهر الشيباني المتوفى سنة ٥١٨ هـ ، وأبو الفتح الأذربيجاني، وخلف بن أحمد النيسابوري (الشرباصي ، ١٣٩٥ هـ ، ص ٣٢) .

مؤلفات الغزالي :

ألف الغزالي في شتى علوم المعرفة منها ما هو في المذهب الشافعي ، ومنها ما هو في أصول الفقه ، ومنها ما هو في الخلافيات ، ومنها ما هو في علم الجدل ، ومنها ما هو في الرد على بعض الفرق كالباطنيه وغيرها. (السبكي ، د . ت ، ص ٢٢٥).

وذكر السبكي ما يقرب من ستين كتاباً للغزالي ، بينما عد شارح الإحياء الإمام الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين) ما يقرب من ثمانين كتاباً ورساله .

وقد أورد « بدوي ، د . ت » تصنيفاً لكتب الغزالي فذكر أن : (٧٢) كتاباً مقطوع بصحة نسبها إلى الغزالي ، وقد أورد المؤلف نماذج من المخطوطات والشروح الخاصة بهذه الكتب (ص ٤٩) .

ثم ذكر (٣٢) كتاباً يدور الشك في صحة نسبها إلى الغزالي .

وذكر (٢٢) كتاباً نسبت إلى الغزالي من المرجح أنها ليست للغزالي معظمها في السحر والطلسمات والعلوم المستورة ، ثم ذكر (٩٦) كتاباً هي أقسام من كتب الغزالي أفردت ككتب مستقلة ، وكتب وردت بعناوين مغايرة . (بدوي ، د . ت ، ص ٤٩ ، ص ٢٣٩ ، ص ٢٧٧ ، ص ٣٠٢) .

وإذا تصفحنا مؤلفات الغزالي نجد أن أهمها ثلاثة كتب ، لو لم يؤلف غيرها لبقي الغزالي العملاق بطابعه وسماته وشخصيته لا ينقص شيئاً .. ولكنه لو لم يؤلفها لما كان هو الإمام الغزالي صاحب الأثر الخالد على الدهر. وهذه الكتب هي:

١ ـ المنقذ من الضلال :

وفيه يقص الإمام حياته الفكرية في تطورها من الدراسة المستفيضة إلى الشك ثم اليقين .

٢ ـ تهافت الفلاسفة :

حينما سمى الغزالي كتابه تهافت الفلاسفة كان يريد أن يمثل لنا أن العقل الإنساني يريد أن يبحث عن الحقيقة ، ويريد الوصول إليها (كما يبحث البعوض عن ضوء النهار) فإذا أبصر شعاعاً يشبه نور الحقيقة إنخدع به، فرمى بنفسه عليه، وتهافت فيه ، ولكنه يخطىء مخدوعاً فيهلك كما يهلك البعوض ، وهذه شهادة من أحد المستشرقين .

وكأن الغزالي يريد أن يقول : إن الفلاسفة خدعوا بأشياء وأسرعوا إليها بلا إعمال وروية فتهافتوا وهلكوا الهلاك الأبدي (محمود ، ١٣٩٤ هـ ، ص ٣٨ ـ ٣٩) .

٣ ـ كتاب إحياء علوم الدين :

يعتبر من أنفس الكتب وأجملها ألفه الغزالي بطوس . وقد ألفه من سنة ٤٨٦ هـ إلى جماد الآخرة سنة ٤٩٠ هـ ، أما بواعث تأليفه لهذا الكتاب وجوهر موضوعه يتلخص في كلمة واحدة هى « الإخلاص » . (إبن خلكان ، د . ت ، ص ٢١٧) .

طريق الغزالي في نقد الفلسفة :

امتاز الغزالي عن من سبقوه في محاربة الفلسفة ، فقد اتخذ من سبقوه موقف الدفاع ونفي التهم عن الإسلام ، في مواجهة هجوم الفلسفة على الإسلام ، ولم يجرؤ أحد على مهاجمة الفلسفة لعدم تعمقهم فيها وعدم تسلحهم بالأسلحة التي يواجهون بها الفلسفة ويوسعونها نقداً ، أما الغزالي قد هاجم الفلسفة ، وتناولها بالفحص والنقد ، وألجأ ممثليها إلى أن يقفوا موقف المدافعين ، فكان إنتصاراً عظيماً للعقيدة الإسلامية وزالت بها مهابة الفلسفة وسيطرتها العلمية ، وألف كتاب « مقاصد الفلاسفة » ذكر فيه المصطلحات الفلسفية والمباحث الفلسفية من غير تعليق ونقد . وبعد أن نظر في جميع فروع الفلسفة ، وإعترافه بصحة بعضها وإفادتها . وإنتهى إلى أن أكثر اغلاطهم في العلوم الرياضية والطبيعية التي لها مبادىء ومقدمات ومحسوسات ومعلومات أولية توصلوا بترتيبها إلى أمور مجهولة بعكس الإلهيات التي ليس فيها مبادىء ومقدمات ومحسوسات ومعلومات أولية يتوصلون بها إلى أمور مجهولة وليس فيها أساس للقياس . قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (الشورى : ١١) ، ثم ألف كتابه العظيم « تهافت الفلاسفة » ناقش فيه الفلاسفة في مسائلهم وبين فيها ضعف استدلالهم وتناقضهم واختلافهم وتهافت عقيدتهم . (الندوى ، ١٣٩٤ هـ ، ص ٢٠٦ ـ ٢١٣) .

الفصل الثاني

* معنى الأخـــلاق :
  أ ـ التعريف اللغوي .
  ب ـ التعريف الاصطلاحي .
  جـ ـ تعريف الغزالي للأخلاق .
* أهمية الأخلاق .
* فضيلة حسن الخلق .
* علامات حسن الخلق .
* اكتساب الأخلاق الحسنة .
* الخلق وتغييره :
  أ ـ الخلق السيء وتعديله .
  ب ـ قبول الأخلاق للتغيير .
  جـ ـ المراد بتغير الخلق .
  د ـ طرق معالجة الأخلاق السيئة .
  هـ ـ مراحل تغيير الخلق .

معنى الأخلاق

أ ـ التعريف اللغوي :

جاء معنى الخَلق (بفتح الخاء) في اللغة بمعنى التقدير ، واستعملت في القرآن مجازاً بمعنى الإيجاد بتقدير وحكمة ، فيقال رجل له خَلق حسن ، وهى ما خلق عليه من طبيعته . وتخلق بكذا كأنما خُلق وطبع عليه . (الزواوي ، د . ت ، جـ ٢، ص ٩٩) .

ويقصد به أيضاً المخلوق أو الإنسان وكل شيء مملس . (الزيات، د . ت، جـ ١، ص ٢٥١) .

أما كلمة الخُلق (بضم الخاء) فقد جاءت بمعنى السجية ، والطبع ، والمروءة ، والدين . (الزواوي ، د . ت ، جـ ٢ ، ص ١٠٠) .

والخُلق الطبيعة ، والسجية وجمعها أخلاق ، وحقيقته أنه وصف لصورة الإنسان الباطنة . (ابن منظور ، ١٤١٠ هـ ، جـ ١٠ ، ص ٨٦) .

والخُلق أيضاً حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من غير حاجة إلى فكر وروية ، والأخلاق علم موضوعُه أحكام قيميّة تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن والقبح . (الزيات ، د . ت ، جـ ١ ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢) .

ب ـ التعريف الاصطلاحي :

ثمة تعريفات تنظر إلى الأخلاق على أنها :

« مَلكَة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تقدم روية ، وفكر ، وتكلف » . (عبدالغنى ، ١٤١٣ هـ ، ص ١٣) .

أو على أنها :

« صفة ثابتة في النفس ، فطرية أو مكتسبة ، تدفع إلى سلوك إرادي محمود كالأخذ بالحق ، أو الخير ، أو الجمال ـ وإن خالف الهوى ـ وترك الباطل ، والشر والقبح ـ وإن وافق الهوى والشهوة ـ أو سلوك إرادي مذموم

كالأخذ بالباطل أو الشر أو القبح وترك الحق أو الخير أو الجمال إتباعاً للهوى أو للشهوة . (الميداني ، ١٤١٣ هـ ، ص ١٦) .

وتعريف علم الأخلاق هو : « العلم الذي يبحث في أعمال الناس فيحكم عليها بالخير أو الشر » . (أمين ، ١٣٩٤ هـ ، ص ١٢) .

ويمكن النظر إليه على أنه :

« علم يدرس ظاهرة السلوك الإنساني من حيث منابعه ، ودوافعه ، وغاياته ، ويحدد القيم والقواعد العملية التي يجب مراعاتها في السلوك الإنساني أياً كان لون هذا السلوك أو شكله ، كما يدرس وسائل الإلزام والإلتزام بالسلوك الخيرّ ، ووسائل الإبتعاد عن السلوك الشرير » (عبدالغنى ، ١٤١٣ هـ ، ص ١٢) .

وإنطلاقاً مما سبق يجدر بنا أن نفرق بين الخُلق والسلوك . وبيان أن الخُلق صفة نفسية داخلية والسلوك هو المظهر الخارجي له ، فإذا رأينا سلوك يعطي باستمرار كان ذلك دليلاً على أن خلقه الكرم .

كما يجدر بنا أن نفرق بين الخَلق (بفتح الخاء) والخُلق (بضم الخاء) ، فالخَلق (بفتح الخاء) يقصد به الصورة الظاهرة للإنسان ، أما الخُلق (بضم الخاء) فيراد به الصورة الباطنة لأن الإنسان مكون من جسد مدْرَك بالبصر ، ونفس مدْرَكة بالبصيرة . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٥٣) .

ثم يجب أن نميز بين الأخلاق وبين الغرائز وأنها ليست من الأخلاق . فمعيار التفريق بين الخلق والغريزة : أن الخُلق له آثار في السلوك قابلة للحمد أو الذم بعكس الغريزة التي لا تخضع للمدح والذم .

فالأكل مثلاً عند الجوع بدافع الغريزة ليس مما يحمد أو يذم في باب السلوك الأخلاقي ، إنما الشره الزائد في الأكل أمر مذموم ، كذلك حب التملك غريزة ، أما القناعة فهى خُلق يحمده الناس ويشكروه ، والجشع خُلق يذمه الناس عليه وينتقدوه . (الميداني ، ١٤١٣ هـ ، ص ١٠) .

جـ ـ معنى الأخلاق عند الغزالي :

إن السلوك الإنساني لا يكون خُلُقاً إلا إذا صار طبعاً وجبلّه ، بمعنى أن يكون صفة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بدون مشقة وتكلف ، بل بسهولة ويسر ، فإذا لم تكن الصفة راسخة في النفس لا تعتبر خُلقاً ، كوقوع الغضب من الحليم أحياناً ، وكذلك الصفة أو الفعل الذي يصدر من النفس بتكلف وعسر لا يعتبر خلقاً إنما هو تخلّق ، كتظاهر الجبان بالشجاعة ، والبخيل بالكرم ، في بعض المواقف فإن ذلك لا يصدر عنهما إلا بمعاناه ومشقة تفرضها عليهما الظروف والأحوال . (عبدالغنى ، ١٤١٣ هـ ، ص ١٤ ، ١٥) .

وهذا ما عبر عنه الغزالي عندما عرف الخُلُق بأنه : « هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر ، من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت تلك الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٥٣) .

* أهمية الأخلاق :

تعد الأخلاق بالنسبة للحياة الإنسانية ركناً أساسياً في صلاحها ، سواء على مستوى الفرد ، أم الجماعة لأنها تضبط غرائز الإنسان ، وتهذب طبعه ، وتوجهه إلى السلوك اللائق به في الحياة كأفضل مخلوق كرمه الله واختصه بالخلافة في الأرض .

ولأهمية الأخلاق ، شبه البعض علم الأخلاق في معالجته لأمراض النفس بالطبيب ، فكما يعالج الطبيب أمراض الجسد وعلاته ، ويصف له طريق العلاج ولكنه لا يستطيع إلزامه به ، كذلك علم الأخلاق لا يستطيع أن يجعل كل الناس أخياراً ، بل يريهم الخير والشر وآثارهما . (أمين ، ١٣٩٤ هـ ، ص ١٥) .

فالطبيب مثلاً يخبر المريض بضرر التدخين وأثره السيء على جسمه ، ولكنه لا يستطيع إلزامه بتركه ، فالمريض مخير إن شاء تركه ، وإن شاء استمر .

وتتركز أهمية الأخلاق في الآتي :

- تميز الأخلاق وآدابها سلوك الإنسان عن سلوك البهائم سواء في تحقيق حاجاته الطبيعية أو في علاقاته مع غيره .
- تستهدف الأخلاق تحقيق السعادة الفردية والجماعية ، لذلك فهي وسيلة لنجاح الإنسان في الحياة وكذلك النهوض بالأمم . (يالجن ، ١٤١٣ هـ ، ص ٧) .

وفضائل الأخلاق الحسنة وما تقتضيه من سلوك يتحلى به المؤمن من أمور يُرغّب بها الإسلام ويحث عليها ، لذلك جاء حديث الرسول ﷺ لربط الإيمان بالأخلاق مما يدل على أهمية الأخلاق ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم » .

(أبو داود / كتاب السنة / باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه / جـ ٣ ، ص ٨٨٦ ، رقم ٣٩١٦)

والإسلام تدعو إلى الأخلاق وتؤكد عليها لأنها تؤدى إلى الخير وتبعد عن الشر في الدنيا وسوء العاقبة في الآخرة ، لذلك فعندما سئلت عائشة رضى الله عنها عن أخلاق النبي ﷺ قالت : [كان خلقه القرآن] .

(مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، جـ ١، ص ٥١٢)

وقوله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (البخاري، باب حسن الخلق، ص ١١٨ رقم ٢٠٧).

وقوله ﷺ : « ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق » . (البخاري ، باب حسن الخلق ، ص ١١٨ رقم ٢٠٨) .

* فضيلة حسن الخلق :

يقول الإمام (الغزالي : د . ت) عن حسن الخلق :

« إن حسن الخلق يرجع إلى إعتدال قوة العقل ، وكمال الحكمة ، وإلى إعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضاً وهذا الإعتدال يحصل على وجهين :

أحدهما : بجود إلهي ، وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب ، بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع ، فيصير عالماً بغير تعليم ، ومؤدباً بغير تأديب .

ثانيهما : إكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعنى به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٥٨) .

وقد أشار الغزالي إلى دور الوراثة في تكوين الخلق الحسن وذلك في الوجه الأول بقوله جود إلهي وكمال فطري .

أما عن الإعتدال الذي تحدث عنه الغزالي فكان يعنى به الوسط في الأمور ، وقد وضح ذلك في قوله : « الإعتدال الذي هو صفة الخُلُق الحسن وسط بين الإفراط والتفريط . فالسخاء أو الكرم مثلاً خُلُق محمود وهو وسط بين طرفي الإسراف أو التبذير والتقتير أو البخل » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٥٧) .

وأصل ما جاء به الإمام الغزالي من الاعتدال موجود في الكتاب والسنة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذا الخُلق في كتابه العزيز عند ذكر صفات المؤمنين قال تعالى :

وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

(الفرقان : ٦٧)

ومعنى كلمة قواما : عدلاً وسطاً بين الطرفين . (مخلوف ، ١٣٧٥ هـ ، ص ٢٦٧) .

وجاء في آية أخرى قول الله تعالى :

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ (الإسراء : ٢٩)

وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الإعتدال دون الشره قال الله تعالى :

۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟
وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ (الأعراف : ٣١)

وأما عن بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة الخلق السيىء ، فإن مصادرنا الأساسية في الدين الإسلامي غنية جداً بما يدعم ويحث على فضيلة حسن الخلق وأننا نرى ذلك واضحاً في قول الحق سبحانه وتعالى في مدح نبيه :

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ (القلم : ٤)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال الرسول ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . (الأدب المفرد ، باب حسن الخلق ، ص ١١٨ ، رقم ٢٠٧) .

وفي بيان ما لحسن الخلق من ثقل يوم القيامة قول الرسول ﷺ : « أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق » .

(الترمذى ، باب البر والصلة ، ما جاء في حسن الخلق، جـ ٢ ، ص ١٩٣ رقم ١٦٢٨) .

وقال رجل لرسول الله ﷺ : أوصنى . فقال : « إتق الله حيث ما كنت . قال : زدني . قال : اتبع الحسنة السيئة تمحها . قال : زدني . قال : خالق الناس بخلق حسن » (الترمذى ، كتاب البر والصلة، ماجاء في معاشرة الناس، جـ ٢، ص ١٩١، رقم ١٦١٧) .

وقيل لرسول الله ﷺ : « أى المؤمنين أفضل ؟ قال : أحسنهم خلقاً » (أحمد، جـ ٦، ص ٤٧) .

وكان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: « اللهم حسن خُلُقي كما حسنت خَلْقي »

(الألباني ، ارواء الغليل ، ١٤٠٥ هـ ، جـ ١ ، ص ١١٣)

وكان من دعاء الرسول ﷺ في إفتتاح الصلاة : « اللهم إهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت وأصرف عني سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت » (مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، رقم ٧٧١ ، جـ ١ ، ص ٥٣٤) .

ومن الآيات والأحاديث السابقة نلاحظ أهمية ومكانة فضيلة حسن الخلق ، ومدى حرص الإسلام على أن يتحلى بها الإنسان لما لها من آثار دينية ودنيوية .

فالخلق الحسن يدعونا إلى أداء الواجب بكفاءة وإتقان كما يدعونا إلى تحمل المسئولية والحرص عليها وإلى حسن التعامل والتخطيط من أجل بناء خلقي يبدأ من تربية الصغار ويمتد إلى كل الفئات العمرية في المجتمع . (درويش، ١٤١٢ هـ ، ص ٢٥٥) .

ويرتبط حسن الخلق بتزكية النفس التي يراد بها تطهير النفس من نزعات الشر ، وإزالة حظ الشيطان منها ، وتنمية فطرة الخير فيها . ومتى حصلت التزكية غدت النفس صالحة لغرس فضائل الأخلاق وتهذيب طباعها ، وبتهذيب طباع النفس يتهيأ المناخ لتفجير منابع الخير ، ومتى تزكت النفس وتهذبت طباعها استقام السلوك الداخلي والخارجي لا محالة (الميداني ، ١٤١٣ هـ ، ص ٤٠) .

أما عن الخلق الحسن والخلق السيء فقد وصفهما الغزالي بقوله :

« أن الخلق الحسن صفة سيد المرسلين. والأخلاق السيئة هى السموم القاتلة، والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، وهى الأبواب المفتوحة إلى نار الله الموقدة. كما أن الأخلاق الحسنة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان . والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس ، ومهما إشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين علاج الأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذى لب، فلا يخلوا قلب من أسقام لو أهملت تراكمت واحتاجت إلى جهد في علاجها وإصلاحها . ومعالجتها هو المراد بقوله تعالى : ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ (الشمس : ٩) وإهمالها هو المراد بقوله تعالى : ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ » (الشمس : ١٠) . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٤٩) .

علامات حسن الخلق :

يرى الغزالي أن « حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٦٩)

وجاء في الكتاب والسنة بعض الآيات والأحاديث الدالة على صفات المؤمنين والمنافقين .

فمن الآيات الدالة على صفات المؤمنين : قوله تعالي :

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ (المؤمنون : ١ ـ ١٠)

وقال تعالى : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ (الأنفال : ٢ ـ ٥)

وقال تعالى : التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ
الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ (التوبة : ١١٢)

وقال تعالى :
﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ
هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ (الفرقان : ٦٣)

أما الأحاديث الدالة على صفات المؤمنين نذكر فيها قول رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . (البخارى ، كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، جـ ١ ، ص ٢١ ، رقم ١٣) .

وقول رسول الله ﷺ عن أبى هريرة : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » . (البخارى ، كتاب الأدب ، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ، جـ ٤ ، ص ١١٦ ، رقم ٨٥) .

وقوله ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً » (أبو داود ، كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، حسن صحيح ، جـ ٣ ، ص ٨٨٦ رقم ٣٩١٦) .

وقوله ﷺ : « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » (أحمد ، جـ ٣، ص٤٤٦) .

يقول الغزالي : إن وجود الصفات السابقة جميعها هى علامة حسن الخلق وفقدها جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون البعض يدل على وجود بعض الصفات دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٦٩) .

ومن خلال ما سبق من آيات وأحاديث نجد أن الغزالي قد جعل القرآن والحديث الشريف حَكَماً في معرفة صفات وعلامات حسن الخلق .

وقد جمع الغزالي بعض علامات حسن الخلق : « هو أن يكون كثير الحياء ، قليل الأذى ، كثير الصلاح ، صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الزلل ، قليل الفضول ، براً وصولاً ، وقوراً ، صبوراً ، شكوراً ، رصيناً حليماً ، رفيقاً ، عفيفاً ، شفيقاً ، لا لعاناً ، ولا سباباً ، ولا نماماً ، ولا مغتاباً ، ولا عجولاً ، ولا حقوداً ، ولا بخيلاً ، ولا حسوداً ، بشاشاً هشاشاً ، يحب في الله ويبغض في الله ، ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٧٠) .

والإنسان إذا تحمل الأذى من غيره دل ذلك على حسن خلقه، لأن ذلك كان خلقه ﷺ ، فقد كان الرسول ﷺ يمشي ومعه أنس ، فأدركه أعرابي فجذبه جذباً شديداً ، وكان عليه بُرد نجراني غليظ الحاشية . قال أنس رضى الله عنه : حتى نظرت إلى عنق رسول الله ﷺ قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ، فقال : يامحمد هب لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك ثم أمر بإعطائه » (البخارى ، كتاب اللباس ، باب البرود والحبر والشمله ، جـ ٤ ، ص ٥٨ ، ٥٨٠٩) .

فقال الغزالي عن ذلك : « من شكا من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فإن حسن الخلق إحتمال الأذى) (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٧٠) .

وقال ﷺ : « أربعون خصلة أعلاها منيحه العَنْز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعدها إلا أدخله الله عز وجل بها الجنة » .

(البخارى ، كتاب الهبه ـ باب فضل المنيحه ، جـ ٢ ، ص ٢٤٤ ، رقم ٢٦٣١)

إكتساب الأخلاق الحسنة :

إن الإنسان لديه الاستعداد لأن يتخلق بالخلق الحسن أو السيء لأن النفس قابلة أن تتشكل وتتأثر بما يحيط بها من مؤثرات خارجية بما وهبه الله من عقل وإمكانيات وقدرة وما يتربى عليه من عادات وتقاليد .

والخلق ليس موهبة أو طبعاً فينا إذ أن كل شيء يمكن تغييره يكون طبعاً ولذلك ، يستطيع الإنسان أن يغير الخلق القبيح بالحسن وأن يضيف إلى أخلاقه ما ليس موجوداً لديه وسبيل الإنسان إلى ذلك هو توجه الإرادة والقصد ، ثم الممارسة ، والإعتياد الناشئة عن تكرار الفعل زمناً طويلاً في أوقات متقاربة . (عبدالغنى ، ١٤١٣ هـ ، ص ٢٧٤) .

وكل إنسان له القدرة على إكتساب قدر من الخلق والفضيلة ، لذا فعلى الإنسان أن يبذل قصارى جهده ليكتسب ما يقدر عليه من أنواع الأعمال الفاضلة.

قال تعالى : وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ (النجم آية ٣٩)

وعندئذ يأتي دور التربية الأخلاقية فأما الإنسان الذي يكون ميله للخير أقوى فإنها سوف تُقوِّي هذا الميل وتحميه من الإنزلاق إلى الشر ، أما من كان ميله إلى الشر أقوى فإن دور التربية الخلقية يكون في تصحيح مسار الإنسان وتوجيهه إلى الخير ، أما من استوى لديه الميلان فإن التربية الأخلاقية سوف ترجح كفة الخير عنده وأن تبعده عن الشر .

وقد دلل بعض علماء النفس على أن السلوك الإنساني ليس فطرياً بل مكتسباً، فالطفل الذي تربى في غير بيئته أو بيته الطبيعي ، يبدو غير ناضج اجتماعياً ، كالذين يُرَبَّوْن في مؤسسات الأطفال ، حيث فرص الإتصال ضعيفة، ومحدودة ، ونوعية الفرص التي يتصل بها الطفل مع الآخرين ، وعددها مهم بالنسبة للطفل . (منصور ، ١٤١٠ هـ ، ص ٢٩٢) .

فهذه الفرص تتيح له إكتساب السلوك ، وقلتها نوعاً وعدداً يحرمه الفرصة التي تُكسبه الاعتياد ، فالتنشئة تفيد الإعتياد، والذي يجعل الطفل يعتاد على السلوك الأخلاقي ، ويجعل هذا السلوك سهلاً عليه بطول المران .

لهذا نجد الرسول ﷺ كان يُعوِّد الأطفال الذين نشأوا في بيته على بعض المبادىء ، والآداب ، والأخلاقيات مثل آداب الأكل . وكان يأمر بتعويد الأطفال على الواجبات الشرعية ، مثل آداب الصلاة عند سن سبع سنوات قبل أن يصلوا إلى سن التكليف ، لكي يسهل عليهم أداؤها إذا بلغوا سن التكليف .

« إن ما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الإعتناء بأمر خلقه فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره من مرَد وهو (الإعتزال والتنحى) وغضب ، وعجلة ، وخفة ، مع هواه وطيش وحده ، وجشع ، فيصعب عليه في كبره تلافى ذلك ، وتعتبر هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له » (ابن قيم الجوزيه ، ١٤١٢ هـ ، ص ١٤٦) .

وقد اتفق ما قاله علماء النفس مع قول الغزالي من أن الأخلاق تأتى بالإكتساب ولكنه ذكر إمكانية أن تكون كذلك بالطبع والفطرة بقوله :

« إن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة ، وتارة تكون بإعتياد الأفعال الجميلة ، وتارة تكون بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ، ومصاحبتهم ، وهم قرناء الخير ، وإخوان الصلاح ، فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعاً ، وإعتياداً ، وتعلماً فهو في غاية الفضيلة ، ومن كان رذلاً بالطبع وإتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى إعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل » . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٦٠) .

وجاء هذا موافقاً للحديث الشريف حيث يقول ﷺ : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة » .

(البخارى ، كتاب الذبائح والصيد ، باب المسك ، جـ ٣ ، ص ٤٦٣ ، رقم ٥٥٣٤)

أما عن إكتساب الأخلاق الحسنة فيؤكد الغزالي على أن أقوم الطرق لإكتساب الفضائل إنما هى الرياضة . ويعنى بها حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فيقول :

« فمن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه تكلف فعل الجود وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً له ، ويتيسر عليه فيصير به جواداً . وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبرْ ، فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد لنفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقاً له وطبعاً فيتيسر عليه .... وإن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة » . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٥٨) .

وفيما رواه سعيد إبن طاوس عن أبيه قال : « إن هذه الأخلاق منائح يمنحها الله عز وجل من يشاء من عباده فإذا أراد الله بعبد خيراً منحه منها خلقاً صالحاً » . إسناده صحيح ورجاله ثقات (ابن أبي الدنيا ، مكارم الأخلاق ، د . ت ، ص ٢٦) .

الخلق وتغييره :

أ ـ الخلق السيء وتعديله :

ولمعرفة الخلق السيء في النفس أوضح الغزالي أن ذلك يتم بأربعة طرق هى :

أولاً : أن يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس ، ومطلع على خفايا الآفات ، ويُحكمّه الإنسان في نفسه ، ويتبع إرشاداته في مجاهدتها .

ثانياً : أن يطلب صديقاً ، صدوقاً ، بصيراً ، متديناً ، فينصّبه رقيباً على نفسه ليلاحظ أحواله ، وأفعاله وما يكره من أخلاقه ، وعيوبه الباطنة والظاهرة ، فينبهه إليها .

ثالثاً : أن يستفيد من ألسنة أعدائه في معرفة عيوبه ، ولعل إنتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من إنتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفى عنه عيوبه .

رابعاً : مخالطة الناس فكل مايراه مذموماً عن الناس إتهم نفسه به فإن الطباع متقاربة في إتباع الهوى فيرى عيوب غيره عيوب نفسه . (الغزالي، د . ت، جـ ٣، ص ٥٤، ص ٦٥) .

وهذا يحصل في المدارس وفي حلقات الدروس حيث المعلم أو الشيخ هو المربي للطفل يحاول أن يعدل من السلوك السيء للطفل ويزرع فيه الأخلاق الحميدة، ويرشده إلى أفضل الطرق في اجتناب الأخلاق السيئة ، كذلك نجد أن فضل الصديق الصالح وهو أن يدل على الخير وينهى عن الشر .

ب ـ قبول الأخلاق للتغيير :

لقد رفض الإمام الغزالي رأي من يقول أن الأخلاق لا تتغير وقال في الرد عليهم : « لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا ، والمواعظ ، والتأديبات » . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٥٥) .

وقد استشهد الغزالي على إمكانية تغيير الخلق باستئناس بعض الحيوانات مثل البازى ، والحصان ، وحيوانات أخرى متوحشة ، فإذا أمكن استئناس هذه الحيوانات، وتغيير طباعها وسلوكها، كان ذلك مع الإنسان أولى بتغير طباعة وتحسين خلقه . فيقول الغزالي عن ذلك : « وكيف يُنكَر هذا في خُلق الأدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن .. إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلى الأنس .. والفرس من الجِماح إلى السلاسة والإنقياد وكل ذلك تغيير للخلق ». (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٥٦).

ومن الواضح أن ما ذهب إليه الغزالي من أن الأخلاق قابلة للتغيير أمر متفق عليه بين علماء النفس الحديث وهو الأصل الذي تقوم عليه فلسفة التربية والتعليم والعلاج النفسي ، فالأخلاق تكتسب بالتعلم ويمكن تغيرها بالتعلم ، وهذا مضمون نظرية التعلم . (نجاتي ، ١٤١٤ هـ ، ص ١٩٠ ، ص ١٩٣) .

وحتى الطفل يَقبل كل ما يُملى عليه ، لذلك فالغزالي جلب الأدلة على ذلك من الواقع ومشاهدات الناس وتجاربهم ليثبت أنه يمكن التأثير على الطفل وتوجيه مساره، كما يمكن فطمه عن أشياء، وتعويده على أشياء والأدلة لديه على الحيوانات التي ذكرها . (البرجس ، د . ت ، ص ١١٩) .

وهناك أدلة من أقوال الرسول ﷺ تؤكد ما ذهب إليه الغزالي منها :

قول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل : « أحسن خلقك للناس . يامعاذ بن جبل » .

(الموطأ (مالك) / كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء في حسن الخلق ، جـ ٢ ، ص ٩٠٢ ، إسناده صحيح)

فعلى ضوء الحديث الشريف لو لم تكن الأخلاق قابلة للتغيير لما قال ﷺ ذلك ويفهم منه الحث على تحسين الأخلاق .

واستشهاد الغزالي بإمكانية تعديل سلوك الحيوان فيه دليل واضح على إمكانية تعديل خلق الولد خاصة عند صغر سنه ونعومة أظفاره ، فالولد الذي هو أعقل وأقدر على الفهم من البهيمة أولى وأقرب لحصول التغيير ، فعلى الأب أو المربي أن لا ييأس من إصلاح خلق ولده بل يلزم الصبر والتدريب حتى يصلحه

الله ، فيقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ (القصص : ٥٦)

وإذا كانت الأخلاق قابلة للتغيير والتبديل وإكتساب الفضائل ، فإن الناس يختلفون في قبول التخلق بالمكارم ، والتحلى بالآداب ، فمنهم اللين السلس ، الذي لا يحتاج إلى جهد في إصلاحه ، ومنهم الصعب الشرس الذي يحتاج لجهد كبير في إصلاحه ، ومنهم النافر الذي لا يُرجى صلاحه . (عبدالغنى ، ١٤١٣ هـ ، ص ٢٧٥)

ولأن الجِبِلّات والطبائع مختلفة لذلك يجب أن لا يَمَل الوالد أو المربي من متابعة ولده ، وبتوجيهه والصبر عليه ، وإن طال ذلك ، فالأب أو المربى الفطن الذي يعرف إمكانيات ولده أو تلميذه فلا يحمله من الآداب والأخلاق ما لا يطيق .

وللاستدلال على ذلك نورد قول الرسول ﷺ : « إن الله قسّم بينكم أخلاقكم كما قسّم بينكم أرزاقكم » (الأدب المفرد ، باب حسن الخلق ، ص ١١٩، رقم ٢٠٩) .

وقد أشار الغزالي إلى ذلك وقال : إن الجبِلّات مختلفة في قبول تغيير الأخلاق فبعضها سريع القبول للتغيير ، وبعضها بطيء القبول . ولإختلافها سببان :

أولهما : قوة الغريزة في أصل الجبِلّه فالشهوة والغضب موجودة في الإنسان ولكن أصعبها وأعصاها على التغيير قوة الشهوة .

ثانيهما : أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل به . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٥٦) .

جـ - المراد بتغيير الخلق :

يذهب الغزالي إلى أنه ليس المقصود من المجاهدة في رياضة النفس هو قمع الغرائز التي فطر الإنسان عليها ، وقهرها ، إنما المقصود هو تهذيب هذه الغرائز ، والسيطرة عليها ، وردها عن الإنحراف إلى الإعتدال ، فيقول الغزالي : « إن المراد من مجاهدة الغرائز هو ردها إلى الإعتدال بحيث لا يَقهر أحدها العقل ولا تغلبه بل يكون العقل هو الضابط لها والغالب عليها وهو المراد بتغيير الخلق » . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٥٧) .

وضرب الغزالي أمثلة على هذه الغرائز ، وكيف أنها ضرورية للإنسان ومفيدة له فيقول : « فلو إنقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان ، ولو إنقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ، ولو إنعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه لهلك » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٥٦ ، ص ٥٧) .

د ـ طرق معالجة الأخلاق السيئة :

إذا أراد الإنسان أن يتخلص من خلق سيء فعليه ألاّ يُديم التفكير فيه ، وأن لا يُطيل محاسبة نفسه ، بل يجتهد أن ينشىء محله خُلقاً جديداً كريماً ، فإن إطالة التفكير والمحاسبة تؤدي إلى إنكماش النفس والإحساس بضعفها وفقدان الثقة بها، أما إذا أنشأ خلقاً جديداً محل القديم نشطت نفسه وانفتح أمامه باب الرجاء . (أمين ، ١٣٩٤ ، ص ٦٦) .

فلو عجز الإنسان عن قلع الأخلاق السيئة في السن المتأخرة من العمر فإنه يستطيع تقويمها ، وتهذيبها ويستلزم ذلك منه بعض الجهد ، والإرادة بعكس لو بدأ التقويم في سن مبكرة . فقد مثّل (قطب ، ١٤١٢ هـ) على التحول في السلوك في سن متأخرة بالتحول الضخم الذي حدث في نفوس المسلمين الأوائل حين انتقلوا من الجاهلية إلى الإسلام . (ص ٩١) .

فتعديل سلوك الصبي وعلاج خُلقه سهل لصغر سنه فهى المهمة الأولى للأب والمربي ولكن يجب أن يتحلى الأب أو المربى ببعض الشروط لنجاح مهمة العلاج كالصبر على مشقة التربية ، والتوجيه الذي يستفرغ جهد سنوات من العمر فلا يمل من طولها ويدرك أن تحسين الخلق واستبدال القبيح منه بالحسن ممكن بالمتابعة ومهما وجد من ولده البلادة في الطبع ، وسماجة السلوك . وسوء الخلق فلا يحاول عبثاً أن ينتزع الغضب كلياً مثلاً من نفس ولده بل يعمل جاهداً على تهذيب خلق ولده ، وتربيته بالتدريج وتدريبه على ضبط إنفعالاته والتحكم فيها . (باحارث ، ١٤١٢ هـ ، ص ٩٦ ، ص ١٨٤) .

وأورد الغزالي بعض طرق معالجة الأخلاق السيئة للطفل ، وذلك عن طريق التقويم بالميل إلى الضد فإذا أحس الولد بالترفع على الفقراء فيؤمر بالجلوس معهم وزيارتهم ليذهب عنه الترفع .

وإذا كان عند الولد إحساس بالمباهاة بنفسه دون مبرر ، فإنه يُكلَف بعمل ثم يُشكر عليه ، أما إذا كان من الأطفال الذين يفخرون على أقرانهم بميزات خَلْقية كالجمال أو الطول أو القوة أو الغنى أو الذكاء ... فإن علاج هذا أن يوضح للطفل أن هذه الصفات وغيرها من نعم الله التي أكرمه بها وليست من كسب الولد . (باحارث ، ١٤١٢ هـ ، ص ٢٠٠) .

وأضاف الغزالي أن المعالجة لا تتم إلا إذا توفرت لها بعض الشروط مثل الإرادة القوية ، والاعتياد على تكرار الفعل وقتاً طويلاً فيقول : إن الطريق الكلى لمعالجة القلوب هو سلوك مسلك المضاد لكل ما تهواه النفس ، وتميل إليه ... والأصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم ، فإذا عزم على ترك شهوة قد تيسرت أسبابها ويكون ذلك إبتلاءً من الله تعالى وإختباراً ، فينبغى أن يصبر ويستمر فإنه إن عَوّد نفسه ترك العزم ألِفت نفسه ذلك ففسدت . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٦٢) .

ثم ذكر الغزالي مثالاً على معالجة الأخلاق السيئة :

أن يعود الإنسان نفسه على الحِلم ، ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يتخذ من يشتمه على ملإ من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى يصير الحلم عادة له . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٦٢) .

كما يكون علاج الخُلق أو السلوك السيء بتكلف فعل الخُلق أو السلوك المضاد له والاستمرار على فعله حتى يصبح عادة فيزول الخُلق السيء ويحل محله الخلق الحسن وهذا يتطلب مدافعة للشهوة والهوى ولا يكون إلا إذا سيطر العقل ، وكان

هو صاحب السلطة في التوجيه والعمل ، وقد حذر الله سبحانه وتعالى من إتباع الهوى فقال تعالى :

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ (ص : ٢٦)

وقد وعد الله سبحانه وتعالى عند عدم إتباع الهوى بالجنة فقال تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (النازعات : ٤١)

وبما أن الوقاية خير من العلاج فقد ذكر الغزالي طريقاً آخر لمعالجة الخلق السيء وهو طريق الوقاية من الخلق السيء قبل الوقوع فيه ويكون ذلك بطريقين :

أولهما : الإبتعاد عن أسباب هذا الخلق، أو مثيراته ومهيجاته من بواعث ووساوس.

ثانيهما : التعود على ممارسة الأخلاق الحسنة والإبتعاد عن الأخلاق السيئة .

(الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٥٨)

هـ ـ مراحل تغيير الخلق :

ومما سبق يتلخص مراحل تغيير الخُلق عند الغزالي في ما يلي :

١ ـ معرفة الأخلاق المذمومة .

٢ ـ طرق العلاج العامة .

٣ ـ طرق العلاج الخاصة بكل نوع من أنواع الأخلاق السيئة .

٤ ـ معرفة الإنسان لعيوبه .

٥ ـ تقدير الحالة الخاصة لكل فرد .

وقد عرض الغزالي لكل مرض من أمراض النفس أو خُلق من الأخلاق السيئة ، وبين حقيقته ، والوسائل التي سيعالج بها ، وأوضح إن ما يصلح لمعالجة الحسد لا يصلح لمعالجة الحقد وهكذا .. وبعد أن ذكر قواعد العلاج العامة التي يشترك فيها أكثر الأمراض، والتي تتلخص بمصاحبة العلم للعمل، أي العلم بالخلق المذموم ونتائجه وبث الحماس في المرء لتغيير هذا الخلق (العثمان، ١٤٠١ هـ ، ص ٣٨١) .

وذكر الغزالي أن لكل خُلق سيء علاجاً معيناً وعند العلاج يجب أن نتفحص حالة المريض الصحية والنفسية وغيرها فيقول : إن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم ، كذلك المربى لو أشار بنمط واحد من الرياضة أهلكهم ، وأمات قلوبهم ، بل ينبغى أن ينظر في نوع المرض وفي حال المريض وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبنى على ذلك رياضة. (الغزالي ، د . ت، جـ ٣، ص ٦١) .

وقد شبه الغزالي البدن بالنفس وما يعترى البدن من صحة ومرض وجعلها مثالاً يشرح فيه صحة النفس ومرضها فيقول : « إن الإعتدال في الأخلاق هو صحة النفس ، والميل عن الإعتدال سقم ، ومرض فيها كما أن الإعتدال في مزاج البدن هو صحة لها والميل عن الإعتدال مرض فيه » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٦٠) .

فعلاج كل من البدن والنفس برد المزاج إلى الإعتدال ، فبعلاج البدن تزول العلل التي تعترضه وتخل بإعتدال مزاجه ، وكذلك علاج النفس يتم بمحو الأخلاق الرديئة عنها وإكسابها الأخلاق الفاضلة وقد ضرب الغزالي مثالاً للبدن بالمعدة فيقول : « إنما تعتري المعدة المضرة بعوارض الأغذية والأهويه » . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٦٠) .

وذكر الغزالي تأثير الغذاء على البدن وعلى تحديد إتجاه هذا البدن ودور التربية في إكمال الناقص من النفس وهى قابلة للتأثير والإكساب فقال : « وكما أن البدن إبتداءً لا يُخلق كاملاً إنما يكُمل ويقوى بالنشوء والتربية والغذاء ، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٦١) .

الفصل الثالث

التربية الخلقية عند الغزالي

* التربية الخلقية .
* مفهوم التربية الخلقية .
* مفهوم التربية الخلقية عند الغزالي .

« بعض المؤسسات التربوية ذات العلاقة بالطفل ودورها في إكساب التربية الخلقية » .

أولاً : دور الأسرة في تربية الطفل خلقياً .

١ ـ إختيار الأم والحضانة والإرضاع .

٢ ـ دور الوالدين في تربية الطفل خلقياً .

ثانياً : دور البيئة في تربية الطفل خلقياً :

[بعض أساليب إكساب الطفل التربية الخُلقية] :

أولاً : المراقبة .

١ ـ ملاحظة سلوك الطفل .

٢ ـ صيانة الأطفال من قرناء السوء .

ثانياً : القدوة ودورها في إكساب التربية الخلقية .

ثالثاً : الثواب والعقاب ودورهما في إكساب التربية الخلقية .

رابعاً : دور اللعب في إكساب الطفل التربية الخلقية .

[بعض المبادىء التربوية والتي في إطارها يتم إكساب الطفل التربية الخلقية] :

أولاً : الفروق الفردية .

ثانياً : العقوبة .

١ ـ كيفية عقاب الطفل على سوء خلقه .

٢ ـ عدم استعمال القسوة في تهذيب سلوك الطفل .

٣ ـ التدرج في معاقبة الأطفال سيء الخلق .

ثالثاً : بعض المعايير والقيم الخلقية .

التربية الخلقية :

إن العلم بالخير ليس كافٍ للإتيان به ، وكذلك العلم بالشر غير كاف لتجنبه ، لذلك فتلقى الأخلاق نظرياً ليس ضرورياً لكى يتمسك المتعلمون ، والأطفال بالأخلاقيات ، والسلوكيات الحسنة ، فبعض الناس يعرفون أضرار بعض السلوكيات مثل (التدخين) ومع ذلك لا يستطيعون تركها، بسبب ضعف الإرادة أو عدم القدرة على التغلب على الأهواء ، ومن هنا جاءت مهمة التربية الخلقية والتي تتمثل في تنشئة الأجيال على السلوكيات الحميدة ، والآداب الاجتماعية النبيلة قولاً، وعملاً ، وبناء قوة الإرادة لدى الطفل، وتكوين قناعة كاملة لديه بتلك السلوكيات ، والآداب ، والقيم ، وما يترتب على فعلها وتركها .

وتهدف التربية الخلقية عموماً إلى : الإلتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى ، واجتناب نواهيه ، وإلى تهذيب غرائز الإنسان ، وإيجاد الإرادة القوية ، وإكساب العادات الحسنة النافعة، ولتحقيق هذه الأهداف يجب استغلال فترة الطفولة وصغر سن الطفل في غرس هذه القيم، والسلوكيات النبيلة . لأن من شب على شيء شاب عليه .

مفهوم التربية الخلقية :

ويمكن تعريف التربية الخلقية بأنها: الإعتياد على المبادىء الأخلاقية وممارستها من الصغر بحيث تصبح عادة ، أو هي : تكوين بصيرة أخلاقية عند المرء بها يستطيع التفريق بين الخير والشر ، وهناك من يرى أن التربية الخلقية هى تلقين المبادىء الأخلاقية للناشئين كأي درس من الدروس . (يالجن، ١٣٩٧ هـ، ص ٩٥، ص ٩٦).

وإذا نظرنا إلى التعريفات الثلاث السابقة للتربية الخلقية نجد أن كل تعريف على حده قاصر عن الإلمام بجوانب التربية الخلقية لأن كل تعريف يلقى الضوء على جانب دون ما عداه ، فالذي يرى أنها معلومات نظرية كأي علم من العلوم يفتقر إلى الجانب التطبيقي المهم لترسيخ هذه القيم والأخلاقيات . أما من يرى أنها

تكوين بصيرة أخلاقية يستطيع بموجبها التمييز بين الخير والشر فينقصه الإقتناع بجدوى إتباع الخير وإجتناب الشر ، أما من يرى أنها إعتياد المبادىء الأخلاقية وممارستها منذ الصغر دون معرفة لماذا يفعلها ؟ وهل هى نافعة ؟ ولماذا لا يفعل غيرها فهذا غير كاف ؟ ، والحل هو أن تجمع كل هذه الثلاث إتجاهات في تعريف شامل وعام للتربية الخلقية ونجد هذا التعريف الشامل عند (يالجن ، ١٣٩٧ هـ) الذي يقول :

« إنها تنشئة الطفل على المبادىء الأخلاقية ، وتكوينه بها تكويناً كاملاً من جميع النواحي ، وذلك بتكوين استعداد أخلاقي للإلتزام بها في كل مكان وإشباع روحه بروح الأخلاق وذلك بتكوين عاطفة وبصيرة أخلاقية حتى يصبح مفاتيح للخير ومغاليق للشر أينما كان وحيثما وُجد بإندفاع ذاتي إلى هذا أو ذاك عن إيمان وإقتناع وعن عاطفة وبصيرة وذلك باستخدام جميع الأسس والطرق والوسائل والأساليب التي تساعد على تحقيق وتكوين ذلك الإنسان الخير » (ص ١٠٣) .

وهذا ما عبر عنه الرسول ﷺ بقوله : « إن من الناس مفاتيح للخير ، مغاليق للشر . وإن من الناس مفاتيح للشر ، مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه » .

(إبن ماجه ، باب من كان مفتاحاً للخير ، جـ ١ ، ص ٤٦ ، رقم ١٩٤)

مفهوم التربية الخلقية عند الغزالي :

استنتج بعض الكتّاب تعريفاً للتربية الخلقية في ضوء ما ذكره الغزالي عن تربية الطفل خلقياً بأنها : « ضبط لقوى النفس الإنسانية ـ بما فيها الجوارح ـ عند حد الإعتدال ، ويكون هذا الضبط تحت سلطة العقل والشرع » (البيرزات ، د . ت ، ص ٨٧) .

أو بأنها : « إرتقاء وتهذيب النفس الإنسانية حتى ترتفع من أدنى درجاتها وهى النفس الأمّارة بالسوء ، إلى أعلى درجاتها وهي النفس الراضية المطمئنة » . (الكيلاني ، ١٤٠٥ هـ ، ص ١٦٢) .

وكلا المفهومين يركزان على النفس ، ففي حين ينطلق المفهوم الأول ويركز على قوى النفس وضبطها عند حد الإعتدال دون مخالفة للشرع أو تحت سلطة الشرع ، ينطلق المفهوم الثاني ويركز على الإرتقاء بالنفس والتسامي بها .

وهذا التعريف ربما يكون أدق من التعريف الأول .

ويرى الباحث التعريف التالي للتربية الخلقية :

الإرتقاء بسلوكيات الإنسان عن طريق غرس بعض الأخلاقيات والقيم والآداب الاجتماعية النبيلة التي تضبط غرائز الإنسان عند حد الإعتدال في حدود العقل والدين، والإلتزام بها قولاً وعملاً بإقتناع كامل بكل ما يقوم به مع الإلزام بنتائج ذلك .

بعض المؤسسات التربوية ذات العلاقة بالطفل ودورها في إكساب التربية الخلقية :

أولاً : دور الأسرة في تربية الطفل خلقياً :

من المعروف أهمية دور الأسرة في تربية الطفل خلقياً وما لها من آثار إيجابية في ترسيخ الأخلاق الحسنة .

١ ـ إختيار الأم ويشمل الحضانة والإرضاع :

إنطلاقاً من نظرة الغزالي إلى نفسية الطفل وطبيعته فهو يرى أن التربية عند الطفل تبدأ من إختيار الأم الصالحة وهي الحاضنة والمرضعة وذلك لما لها من أثر بالغ في نشوء أطفالها وراثياً أو عن طريق إكسابهم السلوكيات الحسنة ، فالطفل يرث عن والديه بعض الصفات الجسمية والاتجاهات العقلية ، لذا فمن حق الإبن على والده أن يحسن إختيار أمه وهي الحاملة الحاضنة المربية .

ومن أهم الصفات التي أقرتها الشريعة الإسلامية في إختيار الزوجة الدين . والمقصود بالدين في إختيار الزوجة هو « الفهم الحقيقي للإسلام والتطبيق العملي والسلوكي لكل فضائله وآدابه » (علوان ، ١٤٠١ هـ ، ص ٣١) .

وقال الله تعالى في وصف الزوجة الصالحة :

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ (النساء : ٣٤)

والقانتات هن الزوجات المطيعات لله ولأزواجهن . (مخلوف ، ١٣٧٥ هـ ، ص ٦٢) .

ويصف الرسول ﷺ المرأة الصالحة بأنها خير كنوز الإنسان فيقول : « ألا أخبركم بخير ما يكنزه المرء المرأة الصالحة ، إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته » (الحاكم ، كتاب التفسير ، جـ ٢ ، ص ٣٦٣ ، الحديث صحيح الإسناد) .

وهذا الإنتقاء الذى وجه إليه الرسول ﷺ فيه من المعايير لإختيار الزوجة ومن الحقائق العلمية والنظريات التربوية في العصر الحديث ، فعلم الوراثة أثبت أن الطفل يكتسب صفات أبويه الخُلُقية ، والجسمية ، والعقلية قبل الولادة وبعدها .

ويقول الرسول ﷺ : « تخيروا لنطفكم فأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم » .

(إبن ماجه، كتاب النكاح، باب الأكفاء ، جـ ١ ، ص ٣٣٣ رقم ١٦٠٢، حديث حسن)

وهناك شروط أخرى لإختيار الزوجة غير ما ذكر سابقاً مثل السن ودوره في تحسين النسل وسلامته من العاهات الخلقية والعقلية ، وإختيار الزوجة من غير ذوى القربى ، إضافة إلى الجمال وما تميل إليه النفس البشرية من حب للصور والصوت الجميل . (باحارث ، ١٤١٢ هـ ، ص ٣٦) .

لذلك قال رسول الله ﷺ : « عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً وأنتق أرحاماً وأقل خباً وأرضى باليسير » .

(إبن ماجه ، كتاب النكاح ـ باب تزويج الأبكار ، جـ ١ ، ص ٣١٣ رقم ١٥٠٨ حديث حسن)

والتفضيل بين هذه الشروط يوضحها الحديث التالي :

« تنكح المرأة لأربع لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فأظفر بذات الدين تربت يداك » . (البخاري ، كتاب النكاح ـ باب الأكفاء في الدين ، جـ ٣ ، ص ٣٦٠ رقم ٥٠٩٠) .

وفي الحديث حث على إختيار الزوجة ذات الدين إذا تعارضت مع باقى الصفات .

واستخلص الإمام الغزالي من تلك النصوص وغيرها أهم صفات الأم أو الحاضنة فيقول: « فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا إمرأة متدينة تأكل الحلال

فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينة من الخبيث فيميل طبعه إلى ماينا سب الخبائث » . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٧٢) .

فالصبي إن لم يكن مكلفاً فوليه مكلف لا يحل له تمكينه من المحرم فإنه يعتاده ويعسر فطامه عنه . (إبن القيم ، ١٤١٢ هـ ، ص ١٤٧) .

حتى وإن كانت المرضع غير الأم فيشترط أن تكون متدينة تأكل الحلال .

٣ ـ دور الوالدين في تربية الطفل خلقياً :

تبدأ تربية الطفل من نقطة سابقة كثيراً على مولده ... وهى وجود أبوين مسلمين ، فالطفل الذي يتربى في منزل فيه أبوين مسلمين لا يحتاج إلى أكثر من توجيهات لإصلاح خلقه ، أما الطفل الذي تربى في بيت غير مسلم فإنه يحتاج إلى جهد مضاعف ، وعناية أشد لأننا أمام كائن عادى لديه الاستعداد للخير ، والشر ، وللاستقامة ، وللإلتواء بنسب متفاوتة ، أما التربية فهى التي ترفع أحدهما على الآخر . (قطب ، ١٤١٢ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٠٣) .

وإذا توفرت للولد تربية صالحة من أبوين صالحين أو معلمين مخلصين ، توفرت له بيئة صالحة من أصدقاء خيّرين ورفقاء مخلصين ، فإن الولد يتربى على الأخلاق الحسنة ويعتاد كل أدب رفيع وخلق جميل وعادة كريمة ، لهذا درج السلف الصالح في إنتقاء المربين لأولادهم وتهيئة الأجواء الصالحة في تنشئتهم على الخير وتحليهم بأكمل الأخلاق وأجمل الصفات . (علوان ، ١٤٠١ هـ ، جـ ١ ، ص ٦٦٧) .

وقد حرص الغزالي على إيضاح الدور الأساسي للوالدين في تربية الطفل وتكوين شخصيته وتحديد إتجاهه ومدى تأثره بهما فيقول :

« والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، ساذجة ، خالية عن كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يُمال به إليه ، فإن عُوّد الخير وعُلّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبوه وكل

معلم له ومؤدب ، وإن عوّد الشر وأُهمل ... شقي وهلك ، وكان الوزر على رقبة القيمّ عليه والوالي له . فالمولود يولد معتدلاً صحيح الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجسانه ـ أى بالإعتياد والتعليم ـ . (الغزالي، د . ت، جـ ٣، ص ٦٠، ص٧٢).

فالغزالي بهذا يعتمد على حديث الرسول ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

(البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، جـ ١ ، ص ٤٢٤ رقم ١٣٨٥)

وأن الوالدين مسؤلان عن تربية أولادهم ، فمن قول الرسول ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته » .

(البخاري ـ كتاب الجمعة ـ باب الجمعة في القرى والمدن ـ جـ ١ ، ص ٢٨٤ رقم ٨٩٣)

ثانياً : دور البيئة في تربية الطفل خلقياً :

والبيئة تشمل المنزل ، والمجتمع ، والمدرسة وغيرها من المؤسسات التي لها دور في حياة الطفل فإننا لا نستطيع أن نربى أطفالنا بعيداً عن هذه المؤسسات الاجتماعية لأن التربية الخلقية لا تتم إلا بالتربية العملية والتي تتم في هذه المؤسسات الاجتماعية ولا يمكن تعويض تأثير هذه المؤسسات إذا أبعدنا الطفل عنها لأن البيت والمدرسة والشارع والمجتمع عموماً ركائز أساسية في تربية الطفل وهى التي تعطي الحصيلة النهائية للعملية التربوية ولها أثر حاسم في تنشئة الطفل . « والطفل يهتم وينتفع بكل ما أحاط به وبشكل لا شعوري وهذا يتطلب إعداد بيئة صالحة لإعداد طفل سوي » . (الحواشين ، ١٤١٠ هـ ، ص ٣٣) .

وقد تحدث علماء النفس عن تأثير البيئة على شخصية الطفل فذكر أن سلوك الطفل هو مجموعة من التغييرات تنتج عن تفاعل الطفل مع بيئته والتي تمثل مجموعة من القوى المؤثرة في شخصية الطفل . (منصور ، ١٤١٠ هـ ، ص ٤٦)

وتأثير المجتمع ينحصر في أنواع العادات والتقاليد التي تصادف الطفل سواء كانت متفقة مع السلوك السوى المستقيم أو كانت مخالفة للسلوك السوي التي تفسد الطفل البسيط السليم الفطرة ، فالمنزل بالنسبة للطفل هو المكان الذي يعود إليه الطفل محملاً بخبرات جديدة يستعرض ما حصّله ليفكر في سوء المعاملة التي تلقاها فيعرضها لتمحيصها أو يقيّمها أو يُحرّفها أو يفسدها . أو يمجّدها أو يتجاهلها تبعاً لنوعية هذه الخبرات . (منصور ، ١٤١٠ هـ ، ص ٤٢٩) .

أما عند إنتقال الطفل من بيئة المنزل الضيقة إلى بيئة المدرسة الواسعة حيث يؤدي الإنتقال والإطلاع على خبرات جديدة إلى تغيرات في سلوك الطفل وفي إتجاهاته وميوله ، وحيث أن الطفل داخل الأسرة يعيش داخل حيز محدود ضيق هو البيت ، وسلوكه سوف يتحدد بقيم الأسرة وإتجاهات أفرادها وأنماط سلوكهم ، فإذا ما خرج الطفل من هذا الحيز (البيت) إلى مجال أوسع سواء (المدرسة) أو غيرها فإنه سيتمتع بحرية أكبر مما في داخل الأسرة وتحت رقابة وإشراف أفرادها فهو يعمل أعمال حُرِم من عملها في البيت إما لأن أهله لا يرضون عنها ، أو أن قيود البيت لا تسمح بذلك ، فللطفل في الخارج حرية الجري والقفز والكلام والصراخ بدرجة لا تتاح له في البيت . (إسماعيل ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٦٥) .

وقد ينقل الطفل بعض الأنماط السلوكية إلى البيت ، قد يرحب بها الأهل وقد يرفضونها حسب نوع السلوك ومدى ملاءمته لقيم الأسرة .

أما عن نظرة الإسلام إلى تأثير البيئة على السلوك يوضحه الحديث التالي : عن أبي سعيد الخدري أن النبى ﷺ قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعه وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب (أى عابد) ، فأتاه فقال له : إنه قتل تسع وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله فكمل به المائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ، إنطلق إلى أرض كذا وكذا فإن

بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرض قومك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه ملك الموت فأختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم حكماً فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة .

(مسلم ـ كتاب التوبة ـ باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ـ جـ ٤ ، ص ٢١١٨ ، حديث ٤٦)

والحديث يدل على أن أرض الرجل أرض سوء فحثه على الرحيل إلى قوم يعبدون الله ليعبده معهم وهي بيئة صالحة لعل الله يصلحه بها فكانت سبب دخوله الجنة .

وعن طبيعة النفس البشرية وتأثرها بما حولها من مؤثرات منها البيئة التي يعيش فيها الطفل ، يقول الغزالي :

« وكما أن البدن في الإبتداء لا يخلق كاملاً ، وإنما يكمل ، ويقوى بالنشوء ، والتربية ، والغذاء ، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٦١) .

أساليب إكساب التربية الخلقية

أولاً : المراقبـــة :

تكتسب المراقبة أهمية كبيرة في حياة الطفل لما لها من تأثير على سلوك الطفل ، وأخلاقياته . فالمراقبة تشعر الطفل بمسئوليته عن الأعمال التي يقوم بها وأنه سوف يحاسب على السيء منها ، لذلك يحرص دائماً ألا يقع في الأعمال السيئة ، كذلك يجب مراقبة ما يتلقنه الطفل من مبادىء وأفكار وإعتقادات ممن يوجهونه أو يعلمونه ممن هم أكبر منه سناً مع ملاحظة ما يطالعه الولد من كتب ومجلات وما يشاهده من أفلام وبرامج سواء بالفيديو أو التليفزيون . ومن أساليب المراقبة :

١ ـ ملاحظة سلوك الطفل :

فملاحظة الولد ومراقبة المربي له من أفضل أسس التربية وأظهرها ، ذلك لأن الولد تحت مجهر الملاحظة والملازمة ، حيث يرصد المربي عليه جميع تحركاته وأقواله، وأفعاله ، فإن رأى خيراً أكرمه، وشجعه عليه، وإن رأى فيه شراً نهاه عنه ، وحذره منه ، وبين له عواقبه الوخيمة ، ونتائجه الخطيرة ، وبمجرد أن يغفل المربي أو يتغافل عن الولد فإنه قد يتجه إلى الإنحراف (علوان ، ١٤٠١ هـ ، جـ ١ ، ص ٧٢٩) .

ومن أساليب المراقبة التي يحتاجها المربى وضع قوانين وأنظمة حول نشاط أبنائهم وعلى الأبناء تنفيذ ذلك فمن ذلك :

أن بعض الآباء خوفاً على فساد أخلاق أطفالهم يقومون بحرمان أطفالهم من الخروج إلى الشارع أو تهديدهم بالحرمان من الخروج كعقاب للطفل ولعل منع خروج الطفل يتسم أحياناً بالوقاية الشديدة خاصة إذا وجدت في البيت الظروف الملائمة كوجود حجرة للعب أو حديقة أو ساحة في المنزل إلى غير ذلك . (إسماعيل ، ١٤٠٢ ، ص ١٦٦) .

والمراقبة للطفل تتم في أول إيامه عند إختيار مرضعته إلى أن يستطيع الطفل أن يميز بين الأشياء خصوصاً عند ظهور الحياء وهو الوقت الذي يجب استغلاله لغرس وتثبيت بعض القيم والمفاهيم الأخلاقية في نفس الطفل .

فالصبي إذا بدأ يميز بعض الأشياء ومخالفتها لبعضها البعض فهذا يدل على صفاء القلب والإعتدال في الأخلاق ولذلك يُنصح الأهل عند ظهور هذه الحالة باستغلالها بالاستعانة بها في تأديبه بحيائه وتميزه (شمس الدين ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٥٩) .

وجاء الغزالي بما يؤيد ذلك بقوله « ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته ، وأول ذلك ظهور أوائل الحياء ، فإنه إذا كان يحتشم ، ويستحيي ، ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه ، حتى يرى بعض الأشياء قبيحاً ومخالفاً للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء ... فالصبي المستحيي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه أو تميزه » . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٧٢) .

ولإثبات مكانة الحياء وأهميته نرى أن السنة قد مدحت الحياء وأثنت على أهله فقد مر الرسول ﷺ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء ـ فقال رسول الله ﷺ : « دعه فإن الحياء من الإيمان » (البخارى ـ كتاب الإيمان/ باب الحياء ـ جـ ١، ص ٢٤)

وقد إمتدح الرسول ﷺ الحياء فقال : « لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء » (الموطأ ـ كتاب الجامع ـ باب ما جاء في الحياء ـ حديث ١٦٣٥ ، ص ٥٠٤)

والحياء هو ترك ما يعاب به المرء من قول أو فعل ، فالألفاظ السيئة والأعمال القبيحة مثل السب والشتم والصراخ وغيرها تنافي الحياء .

يؤكد ذلك قول الرسول ﷺ : « الحياء لا يأتي إلا بخير »، وقوله ﷺ: « الحياء شعبة من الإيمان »

(مسلم، كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، جـ ١، ص ٦٤ رقم ٦١، ٦٢)

وفي قوله ﷺ : « ما كان الحياء في شيء قط إلا زانه ولا كان الفحش في شيء قط إلا شانه » (ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق ، د . ت ، ص ٣٦ ، الحديث صحيح إسناده لا بأس به) .

٢ ـ صيانة الأطفال من قرناء السوء :

من العوامل التي تؤدي إلى إنحراف الولد : رفاق السوء ، والخلطة الفاسدة، خصوصاً إذا كان الولد مهيئاً لذلك فسرعان ما يتأثر بمصاحبة الأشرار ، ويكتسب منهم أحط العادات ، وأقبح الأخلاق فيسير معهم في طريق الشقاوة حتى يصبح الإجرام طبعاً فيه ، والإنحراف عادة متأصلة فيه ، يصعب بعد ذلك رده إلى الجاده المستقيمة ، وليس معنى ذلك أن يعزل الطفل مطلقاً عن قرنائه من الأطفال بحجة صيانته من قرناء السوء ، أو رغبة في مصاحبة الأخيار . أو الحجر عليه للحفاظ على أخلاقه وسلوكه ، ولكن المقصود هو حفظ الولد من قرنائه من الأطفال السيئين الذين يضرونه ويؤذونه وربطه مع قرناء الخير الذين ينفعوه ويعينوه على الخير . (باحارث ، ١٤١٢ هـ ، ص ٢٢٥) .

وتلعب الخبرات التي يكتسبها الطفل ممن حوله دوراً هاماً في تحديد إتجاهات الطفل مع الآخرين ، وقد كشفت الدراسات في علم النفس أن السلوك الاجتماعي للطفل في هذه الحالة يظل ثابتاً على الرغم من تقدمهم في العمر مما يؤكد أهمية الأساس السليم لهذا السلوك الاجتماعي . (منصور ، ١٤١٠ هـ ، ص ٢٩٢) .

ويؤكد الغزالي على مبدأ صيانة الطفل من قرناء السوء بقوله :

« وصيانته بأن يؤدبه ، ويهذبه ، ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء ... بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره ، وينبغي أن يحفظ من مخالطة من يجري على لسانه شيء من الفحش ، واللعن والسب فإن ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء ، وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٧٢ ، ٧٣) .

والإسلام بتعاليمه التربوية وجه الاباء والمربين إلى مراقبة الأطفال ومعرفة من يخالطون ويصاحبون وإلى من يغدون معهم ويروحون خاصة في سن المراهقة ، ووجههم إلى إختيار الرفقة الصالحة ليكتسبوا منهم كل خلق كريم وأدب رفيع وعادة فاضلة، كما حذرهم من خلطاء الشر ورفقاء السوء حتى لا يقعوا في شرهم.

وقد حث الرسول ﷺ على إختيار القرين فقد أوضح أثر قرين السوء ، وأثر قرين الخير حيث يقول ﷺ: « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة » .

(البخاري ، كتاب الذبائح والصيد ، باب المسك ، جـ ٣ ، ص ٤٦٣ ، رقم ٥٥٣٤) .

وهذه بعض توجيهات الإسلام وتحذيراته من قرناء السوء .

فقال ﷺ : « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » .

(صحيح سنن الترمذي ـ كتاب الزهد ـ جـ ٢ ، ص ٢٨٠ رقم ١٩٣٧)

وقال تعالى : ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف : ٦٧)

وقال تعالى : ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ (الفرقان : ٢٨)

وقال تعالى : ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾ (ق : ٢٧)

ثانياً : القـــدوة :

القدوة في التربية هى من أنجح الوسائل المؤثرة في إعداد الطفل وتكوينه خلقياً، لأن المربي هو المثل الأعلى في نظر الطفل، والأسوة الصالحة في عين الطفل يقلده سلوكياً ويحاكيه خلقياً، لذلك كانت القدوة عاملاً كبيراً في صلاح الطفل أو فساده فإن كان المربي حسن الخلق نشأ الطفل على نفس الخلق ، وإن كان المربي سيء الخلق نشأ الطفل على الأخلاق السيئة ، لأن مرحلة الطفولة تكون فيها قدرة الطفل على إلتقاط أي شيء يقال أو يفعل أمامه أكبر مما نظن ، فإلتقاط الطفل لأنماط السلوك المتعارف عليه بين الأسرة أسهل من أى شيء آخر ، فإرساء مبدأ احترام الصغير للكبير وعطف الكبير على الصغير ، والطفل الذي يرى أمه تصلى خمس مرات في اليوم ويراها تقرأ القرآن ويسمعها تدعو الله عز وجل ، يُنْقَش في

نفسه ذلك السلوك ويَشُب عليه . وعن أهمية غرس بعض القيم الأخلاقية في نفس الصغير (يقول قطب، ١٤١٢ هـ) « نرى أن الطفل قد يغفر للآخرين أن يكذبوا ويخدعوا ويسرقوا ويغشوا ويخونوا ... وقد لا يتأثر بهم إذا كان على أساس متين من القيم والمبادىء ، ولكنه لا يغفر لأبويه شيئاً من ذلك ولا يمكن أن يمر شيء من ذلك بغير تأثير عميق في نفسه، وقد يبقى بقية العمر كله لا يتغير » (جـ ٢، ص ١١٨) .

والأب والأم هما القدوة المباشرة لأطفالهم وهم مثلهم الأعلى في الحياة كذلك باقى أفراد الأسرة من إخوة وأقارب وخدم ومربيات نظراً لإختلاطهم بالأطفال وإشرافهم على تربيتهم فإنه يقتبس ويتشرب منهم بعض سلوكهم على قدر محبة كل واحد منهم لديه .

لذا يجب أن يكون الآباء مسلمين قولاً وعملاً ، ففاقد الشيء لا يعطيه ، فإذا لم يكن لديهم ذلك الرصيد الذاتي من الإسلام فكيف يُنشِئون غيرهم عليه . (قطب ، ١٤١٢ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٠١) .

ويجب التركيز على إصلاح الولد الأكبر فهو من أبرز المؤثرات في إصلاح باقى الأولاد لأن الولد الأصغر عادة يحاكي ما يفعله الأكبر . (علوان ، ١٤٠١ هـ ، جـ ٢ ، ص ٦٦٢) .

ومعظم الأخلاق الحسنة تتأصل وتنمو لدى الأطفال بالقدوة الحسنة، فالكرم ، والصدق ، والشجاعة ، والأمانة وغيرها يكتسبها الأطفال عندما يجدونها حية في سلوك والديهم . (الشنتوت ، ١٤١٠ هـ ، ص ٧٠) .

وأهم ما في القدوة هو الاتفاق بين قول المربي أو الوالد وبين عملهم لأنه إذا قال ولم يعمل بقوله فذلك يضع الأطفال في تناقض وصراع بين إتباع كلامه أو تقليد عمله ، ولهذا قال الله تعالى مستنكراً على من يقول ولا يعمل :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ (الصف : ٢ ـ ٣)

وقال تعالى في حثه للإنسان بأن يكون قدوة في الجمع بين القول والعمل :

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ (البقرة : ٤٤)

وتتطلب القدوة الحسنة الثبات ، والاستمرار على الأفعال الحميدة ، والخلق الحسن لأن الوقوع ولو لمرة واحدة في الخلق السيء يهدم جهد سنين من الخلق الحسن ، كأن يعود الأبوان أطفالهم على الصدق ويلقنونهم أهميته ويكافئونهم عليه فينشأ الأطفال على الصدق ، حتى إذا كذب أبوهم مرة واحدة إنهار ذلك البناء كله فتنهار فضيلة الصدق عندهم ولا يبقى لها معنى ، فمن يدعو الناس إلى التفاني في العمل وهو نفسه مهمل ومستهتر ، والذي يُلقى محاضرة عن مضار التدخين وهو يدخن لا يجد قوله قبولاً : وقد قال أبو الأسود الدؤلى :

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلاّ لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

(البغدادي ، ١٤٠٠ هـ ، جـ ٨ ، ص ٥٦٧)

ولعل خير قدوة وأعظمها للبشرية على مدار التاريخ وفي كل زمان ومكان هو نبي هذه الأمة محمد ﷺ ، فعن عبدالله بن عامر رضي الله عنه قال : « دعتني أمي ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت : ها ، تعال أعطيك ، فقال رسول الله ﷺ : ما أردت أن تعطيه؟ فقالت : أردت أن أعطيه تمراً فقال لها رسول الله ﷺ : أما أنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبه » .

(صحيح سنن أبو داود ـ كتاب الأدب ـ باب في التشدد في الكذب ، جـ ٣ ، ص ٩٤٢ رقم ٤١٧٦)

فهذا هو قدوتنا رسول الله ﷺ الذي قال الله تعالى فيه :

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب : ٢١)

والإمام الغزالي إتفق مع ما سبق ذكره في أهمية وجود قدوة للأطفال يحتذونه ويتشربون منها العادات الحسنة فيتحلوا بصفاته ويحاكوه في حركاته ، وشدد الغزالي على مطابقة قول المربي لعمله خصوصاً في المعلم أو الوالد لأنه إذا إنحرف عن ذلك كان فعله موضعاً للسخرية مثاراً للإحتقار ، فلا يستطيع أن يقودهم ويعجز عن إرشادهم، فيقول (الغزالي ، د . ت) : « أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يُكذِب قوله فعله ... ومثل المعلم المرشد من الأطفال مثل الظل من العود فمتى استوى الظل والعود أعوج ... وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوه سخِر الناس منه وإتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به » (جـ ١ ، ص ٥٨) .

ثالثاً : الثواب والعقاب :

من الأمور التي ينبغي أن يعلمها المربون في تأديب الطفل وتعويده على مكارم الأخلاق هو إتباع أسلوب التشجيع بالكلمة الطيبة حيناً ، وبمنح الهدايا أحياناً أخرى ، وإنتهاج أسلوب الترغيب تارة ، واستعمال طريقة الترهيب تارة أخرى ، وقد يضطر المربي في بعض الحالات أن يلجأ إلى العقوبة الزاجرة المناسبة إذا رأى أنها تؤدى دورها في تقويم الإنحراف والإعوجاج . فالمكافآت التي تتخذ شكل مدح أو معاملة خاصة لها آثار إيجابية ، لأنها تؤكد للطفل أن ما قام به صواب ، وتشكل حافزاً قوياً لتكرار ذلك السلوك . (منصور ، ١٤١٠ هـ ، ص ٤١٣) .

وينبغي أن تكون المكافأة مناسبة لعمر الطفل حتى تُحقق الغرض المرجو منها، فالطفل الصغير يفضل المكافآت المادية كالنقود ، والحلوى ، والألعاب الجديدة ، أما الطفل الكبير فيفضل المكافآت اللفظية مثل « أحسنت » وشكراً لك ... أما العقاب البدني الذي يمكن أن يستخدمه ، بعض الآباء والمربين فمن أشكاله الضرب ، وحرمان الطفل من العابه التي يحبها ، وإرساله إلى غرفته ، وإبقائه فيها وحده ـ حتى يعيد الطفل النظر في سلوكه ـ والإقناع ، التوبيخ ، التهديد ، التجاهل وغيرها .. ، ولكن يجب قبل إيقاع العقوبة بالطفل أن يعرف الطفل لماذا يعاقب ؟

لذلك نجد بعض المربين في مؤلفاتهم قد رجع عن القول بإلغاء العقوبة البدنيه بعد أن تبين لهم أنه لا بد منها في تربية الأطفال وأن الجمع بين المكافأة والعقوبة أحسن وسائل التربية . (الشنتوت ، ١٤١٠ هـ ، ص ١٣٣) .

ولكن متى نستخدم العقاب ؟

وللإجابة على هذا التساؤل يجب أن نفرق بين الثواب . والعقاب ، والترغيب والترهيب أي منها يجب استخدامه أولاً فالثواب يجب أن يقدم أولاً ثم بعد ذلك الترغيب والترهيب ثم العقاب ، فنرغب الطفل بالمكافأة إذا أحسن أو استمر على الفعل الحسن ، أما إذا أساء الفعل فنتوعده بالعقاب أو استمر في الإساءة . وحتى يحقق الترغيب والترهيب الفائدة التربوية منهما يجب أن يكونا متلازمين حتى يسهل للطفل التفريق بينهما ، ودليلنا على وجوب تلازمهما ما ورد في كتاب الله في قوله سبحانه وتعالى :

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ (الإنفطار : ١٣ ـ ١٤)

لأن الله فطر النفس البشرية على خطوط متقابلة منها الخوف والرجاء ، والمحبة والكره وغيرها فالطفل يخاف الوحدة ويرجو الأمان في حضن أمه .

(المقري ، ١٤٠٩ هـ ، ص ٧٦)

أما العقوبة البدنية (الضرب) فقد جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على أنها وسيلة تربوية للعلاج ، ففي القرآن ذكر أن الضرب وسيلة تربوية للنساء الناشزات في قوله تعالى : ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ (النساء : ٣٤)

كما أنه وسيلة تربوية للأطفال كما جاء في حديث الأمر بالصلاة « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر » .

(أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ، جـ ١ ، ص ٩٧، رقم ٤٦٦)

وفيما يلي بعض المعالم التربوية للثواب والعقاب :

١ ـ ينبغى أن تناسب المكافأة أو العقوبة سن الطفل .

٢ ـ تقدم المكافأة على فترات لتطيل عند الطفل مدة الشعور بالرضى أو ما يسميه التربويون « تعزيز السلوك الحسن » أما العقاب فيكون مرة واحدة ليكون مؤثراً ، وكى لا نعوّد الطفل على العقاب فيفقد تأثيره فيه .

٣ ـ تنويع المكافآت والعقوبات حتى لا تفقد قيمتها عند الطفل .

٤ ـ أن لا تقيد نفسك بمكافأة ما ، أو تتوعد بعقوبة .

٥ ـ يجب أن يعرف الطفل لماذا يكافأ ، ولماذا يعاقب ، وعند العقاب يجب شرح الفعل السليم الذي لو سلكه لم يعاقب .

٦ ـ يجب التدرج مع الطفل من المكافآت والعقوبات المحسوسة في السنوات الأولى من طفولته إلى المكافآت والعقوبات المعنوية في الطفولة المتوسطة والمتأخرة .

٧ ـ يجب أن لا يضرب الطفل قبل السابعة ويكتفى بالترهيب المعنوي أو الحرمان من بعض ما يحبه الطفل .

٨ ـ عدم إيقاع العقوبة في حالة الغضب ، حتى لا تتحول التربية إلى انتقام .

(الشنتوت ، ١٤١٠ هـ ، ص ١٣١)

وقد جاء كلام الغزالي مطابقا لما سبق ذكره فيقول :

« إذا ظهر من الصبي خلق جميل ، وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ، ويجازي عليه بما يفرح ويُمْدَح بين أظهر الناس ، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ... وليكن الأب حافظاً هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحياناً ، والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح » . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٧٣)

رابعاً : دور اللعب في التربية الخلقية :

اللعب في حياة الطفل هو شغله الشاغل الذي قد لا يفكر في سواه ، وهذا طبيعي ، فقد يتصور بعض أولياء الأمور خطأً أن اللعب يصرف الطفل عن الدراسة حتى أن الطفل كثير اللعب مرتبط في أذهان الآباء بالتخلف الدراسي ، والواقع أن اللعب يستوعب النشاط الحركي الزائد عند الأطفال ، ويعمل على تنمية أفكارهم ، ويجعلهم دائماً في حالة من النشاط الذهني والحركي ، ويمكن أن يكون اللعب تعبيراً عما يود الأطفال أن يعملوه وهم كبار ، لهذا نجدهم يمثلون في ألعابهم أعمال الآباء ، والأمهات وبعض الأدوار الاجتماعية ، وهذه الممارسة تجعل الطفل يكتسب أدباً اجتماعياً في التعامل مع هذه الفئات ، إضافة إلى أهمية اللعب في التعرف على البيئة التي يلعب فيها الطفل بدأً من المنزل ومحتوياته ، ومروراً بالحديقة وما حولها ، والشارع ، والمدرسة وما يتعلق بها من أسماء وصفات وغيرها .

واللعب وسيلة طبيعية لاستنفاذ الطاقة الزائدة على الحاجة فيستخدم الطفل اللعب كوسيلة للتنفيس عن الرغبات المكبوتة وتفريغ شحنات القسوة ، وهذا رأى علماء النفس في اللعب : « إن الطفل لا يمكن أن يتخلص نهائياً من ميوله للقسوة ، والعدوانية ولكنه عن طريق اللعب ينفس عن هذه النزعات الضارة ، فهى كالنهر المتدفق من أعلى لا يمكن إيقافه بسد مجراه ولكن يسهل تحويل مجراه » . (يالجن ، ١٣٩٧ هـ ، ص ٥١٥) .

وعن أهمية اللعب والحركة ودورها في تنمية قوى الطفل الذهنية فقد أثبتت التجارب أن الأطفال الذين تتاح لهم فرص اللعب تنمو عقولهم أسرع من غيرهم ، أما بالنسبة لتنمية القوى الجسمية فإن لعب الأطفال يكسبهم مهارات حركية مثل القفز والتسلق والتسابق وغيرها ، أما عن الجانب الاجتماعي والخلقي فإن اللعب مع الأقران يساعد الطفل على الإندماج مع الجماعة وتقبلها . (باحارث ، ١٤١٢ هـ ، ص ٤٢١ ـ ٤٢٢) .

ويقول الغزالي عن ذلك : « يُعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٧٣) .

ويدرك الغزالي أهمية اللعب والمشي والحركة والرياضة عموماً وعلاقة ذلك بالنشاط والخمول سواء في الجسم أو في الذهن .

فقد أثبتت التجارب أن التمرينات الرياضية التي تسبق العمل الفكري تؤدي إلى تحسينه غالباً وتزيد في نشاطه ، كما أنها تنمي كتلة العضلات وتزيد من قدرتها على المقاومة . (باحارث ، ١٤١٢ هـ ، ص ٤٢٣) .

ولهذا نجد في مدارسنا أن حصص الألعاب تكون غالباً في بداية اليوم الدراسي.. وحتى لا ينشغل التلميذ عن دروسه بانتظار حصص الألعاب .

نظرة الشريعة الإسلامية للعب :

أدركت الشريعة الإسلامية مدى أهمية اللعب بالنسبة للطفل فحثت عليه ولكن بضوابط معينة ، فعلى المربى الإسلامي ملاحظة أمرين هامين في لعب الأطفال وهما :

١ ـ أن لا يؤدي اللعب إلى الإرهاق ، وإلحاق الضرر بالغير ، لأن الضرر منهي عنه والنبي ﷺ يقول « لا ضرر ولا ضرار » .

(ابن ماجه/ كتاب الأحكام/ باب من بنى في حقه ما يضر بجاره/ جـ ٢، ص ٣٩ ، رقم ١٨٩٦)

وإيذاء الغير تكون إما بالألعاب الخطرة والتي منها مثلاً الملاكمة وغيرها أو اللعب بالأخشاب والآلات الحادة وغير ذلك ، فقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقال : « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه » .

(مسلم / كتاب البر والصلة والأداب/ باب النهى عن الإشارة بالسلاح/ حديث ٢٦١٦، جـ ٤، ص ٢٠٢٠)

٢ ـ إيجاد التوازن بين اللعب وبين الواجبات الأخرى التي يكلف بها الطفل ، ولإيجاد الفائدة من اللعب وعدم إضاعة الوقت ، قال ﷺ : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز .. وإن أصابك شيء فلا تقل : لو إنى فعلت كذا كان كذا ، ولكن قل قدر الله ما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

(مسلم/ كتاب القدر ـ باب الاستعانة بالله وتفويض المقادير لله / جـ ٤ ، ص ٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٤)

اللعب وعلاقته بالتربية الأخلاقية من وجهة النظر الإسلامية :

فاللعب وسيلة للتدريب على المبادىء الأخلاقية من خلال إختيار الألعاب المناسبة ذات العائد التربوي فهناك ألعاب تغرس في الطفل بعض القيم والمبادىء الأخلاقية مثل الشجاعة ، والنظام وترويض النفس وغير ذلك لأنها تجمع بين التسلية والاستفادة ، والإسلام يشجع على ممارسة بعض الألعاب كوسيلة اجتماعية للتربية الخلقية وينهى عن بعض الألعاب الضارة والتي فيها مضيعة للوقت ، فنجده يحث على الفروسية ، والسباحة ، والرماية لما فيها من فوائد كبيرة في المقابل نجده يحرم بعض الألعاب قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ (المائدة : ٩٠)

وقال ﷺ : « من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه » .

(مسلم ـ كتاب الشعر ـ باب تحريم اللعب بالنردشير ـ حديث ٢٢٦٠ جـ ٤، ص ١٧٧٠)

كما شجع الإسلام على بعض الألعاب التي تنمي الشعور بالأخوة والمساواة والمودة بين الأطفال لترسيخ المبادىء الأخلاقية في نفوسهم منذ الصغر بطريق غير مباشر مثل لعب أبناء ذوى المناصب العالية مع أبناء العوام ، فقد كان ﷺ يترك أحفاده يلعبون مع صبيان الأمة (البخارى / كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ، جـ ٤ ، ص ٢٢٧) .

وقد روى أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ كان يأخذه على فخذه ويقعد الحسن بن على على فخذه الآخر ثم يضمهما ويقول اللهم إرحمهما فإني أرحمهما » (البخاري ـ كتاب الأدب ـ باب وضع الصبى على الفخذ ، جـ ٤/ ص ٩٢ ، رقم ٦٠٠٣) .

أهمية اللعب بالنسبة للطفل الصغير :

ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال لطفل حضر إلى المسجد : « ياغلام إذهب والعب » (مسند الإمام أحمد ، جـ ٤ ، ص ١٧٢) .

وما جاء عنه ﷺ موافقته للحبشه أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف وأذن لزوجه عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم وبينما هم يلعبون دخل عمر فأهوى إلى الحصباء[١] فحصبهم بها فقال عليه الصلاة والسلام : « دعهم ياعمر ».

(البخاري / كتاب المناقب ـ باب قصة الحبشى ، جـ ٢ ، ص ٥١٢ ، رقم ٣٥٢٩)

فالإسلام دين الواقع والحياة يعامل الناس على أنهم بشر يحتاجون إلى ما تطلبه الفطرة البشرية من لعب ومرح ومداعبه وغيرها شرط أن تكون في نطاق أدب الإسلام ولذلك كان اللعب مع الأطفال الذين لم تتسرب إليهم الرذائل الأخلاقية من آثار طيبة في النمو الأخلاقي للطفل .

وهناك مجالان لأهمية اللعب هما :

١ ـ التعليم باللعب لأن قابلية الولد للتعلم وهو صغير أكثر من قابليته وهو كبير، وكما قيل : العلم في الصغر كالنقش في الحجر .

٢ ـ ولأن الولد وهو صغير أكثر حاجة للعب منه وهو كبير ، قال ﷺ : « عرامة[٢] الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره » (الهندى ، ١٤٠٩ هـ ، جـ ١١ ، ص ٩١) .

مكان ووقت اللعب من وجهة النظر الإسلامية :

من المعروف أن الأطفال يميلون إلى الحركة واللعب في كل وقت وفي أي مكان، ومن الصعب منعهم منه لأن اللعب هو طريقة الطفل التي يعبر بها عن نفسه وقد حُددت على عهد الصحابة رضوان الله عليهم مكان اللعب ووقته ، فقد روى أن رسول الله ﷺ خرج إلى طعام كان قد دُعي إليه مع بعض أصحابه ، فاستقبل رسول الله ﷺ أمام القوم والحسين مع غلمان يلعب فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق الصبي ههنا مرة وههنا مرة أخرى فجعل رسول الله ﷺ يضاحكه حتى أخذه . (البخاري / كتاب المناقب / باب صفة النبي / جـ ٤ ، ص ٢٢٧)

---

(١) الحصى الصغيرة .

(٢) أى لعبه وحيويته وقوة حركته وحدته وشراسته واجتماعه مع غيره .

وعن عقبة بن الحارث قال : « صلى أبو بكر رضى الله عنه العصر ثم خرج يمشي فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه قال : بأبي لأنت شبيه بالنبي لا شبيه بعلي وعلىّ يضحك » وكان عمر الحسن إذ ذاك سبع سنوات .

(البخاري / كتاب المناقب / باب صفة النبي / جـ ٢ ، ص ٥١٤ ، رقم ٣٥٤٢)

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « مر على عبدالله بن الزبير وهو صبي يلعب مع الصبيان ففروا ووقف هو فقال عمر : مالك لم تفر مع أصحابك ؟ فقال : ياأمير المؤمنين لم أجرم فأخاف ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك » . (البغدادي ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٤٢) .

والواضح مما سبق أن لعب الأطفال كان في الطريق دون نكير أو منع ، ولعله كان أنسب مكان للعب ، وأنسب وقت للعب هو بعد صلاة الظهر والعصر ، ولكن الظروف اليوم متغيرة فاللعب في الطرقات والشوارع يعد مخاطرة كما أن فيه خلطة سوء فيجب توفير أماكن عامة مأمونة ومهيئة للعب الأطفال سواء في الحدائق أو الأماكن العامة أو فناء المنزل أو غرفة خاصة بالأطفال داخل المنزل كما يجب أن يتخير الأب الوقت المناسب لأطفاله للعب حين إعتدال الجو ، فقد حذر الرسول ﷺ من اللعب في الشمس والحرارة فقال : « لا تطيلوا الجلوس في الشمس فإن الشمس تغير اللون وتقبض الجلد وتبلي الثوب وتبعث الداء الدفين » . (الوصابى ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٢٧٥) .

كما يجب أن يعطي الطفل الحرية في اللعب قدر الإمكان وعدم إجباره على فعل أي شيء في وقت لعبه لأنه سوف يكره هذا العمل الذي حل محل لعبه ، وقد أشار الغزالي إلى ذلك بقوله :

« وينبغي أن يؤذن له بعد الإنصراف من الكتابّ أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب ، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه

إلى التعلم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً » . (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٧٣) .

والغزالي هنا أورد أمراً مهماً هو تأثير اللعب على حياة الطفل الاجتماعية وأن حرمانه من اللعب ينغص عليه عيشه ويؤدى ذلك إلى نتائج تضر بحياته الاجتماعية وتنعكس عليها .

بعض المبادىء التربوية التي ينبغي مراعاتها في إكساب الطفل للتربية الخلقية:

أولاً : الفروق الفردية :

إن مبدأ الفروق الفردية هو من المبادىء المهمة جداً لإكساب الطفل الخلق الحسن ، فالأطفال لديهم نقاط قوة وضعف ، فلا أحد يولد كاملاً ، وكل طفل يتمتع بقدر معين من الذكاء ، وبصفات معينة ، والاستعداد لتقبل التغيرات والمواعظ ، فيجب أن يعرف المربي ما هو مهيأ له الطفل من الأعمال ، فلا يُحمّله غير ما هو مستعد ومهيأ له لأنه لن يُفلح في ذلك .

وإن رأى الطفل مستعداً للفروسية والركوب والرمي واللعب بالرمح ، وأنه لا نفاد له في العلم مكّنه من أسباب الفروسية والتمرين عليها ، فإنه أنفع له وللمسلمين ، وإن وجد منه ميل إلى مهنة أو حرفة معينة ولديه استعداد لممارستها وكانت مباحة ونافعة فعليه أن يمكنه من ذلك ويعينه عليها بعد تعليمه ما يحتاج إليه في دينه . (إبن القيم ، ١٤١٢ هـ ، ص ١٤٧ ، ١٤٨) .

وإذا أخفق الطفل في عمل غير مناسب له برغم محاولاته فإنه سيشعر بالأسى والضيق والخيبة والإحباط ، كما يشعر بذلك الكبار من حوله ، لذلك يجب على الوالدين مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال حتى في إختيار الهدايا ، فيجب أن تكون الهدايا موافقة لمشاعر وأحاسيس الطفل وتكون نافعة وسارة له . (فرج ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٨٠ ـ ٨٣) .

وقد تمكن الغزالي من الوصول إلى أعماق الطفل لذلك كان قوله بوجود الفروق الفردية والتي يختلف فيها طفل عن آخر من حيث القدرات والاستعدادات

والظروف النفسية لكل طفل فالأطفال كما يراهم الغزالي لا يناسب البعض منهم دراسة بعض العلوم لأنهم غير أكْفاء . فإن بعض العلوم مثل الطعام . فالطفل الرضيع مثلاً إذا أكل لحم الطير أو بعض أنواع الحلوى التي لا قِبل لمعدته بهضمها فإنه سوف يمرض ، لهذا يوصي الغزالي بأن تراعى الفروق الفردية بين الأفراد في إختيار المواد أو العلوم التي يدرسونها ، وأن ضعيف الإرادة أو صغير السن يجب أن يصان من دراسة بعض العلوم التي قد تتسبب في تشكيكهم في قدراتهم أو إرباك تفكيرهم . (البرجس ، د . ت ، ص ٨٧) .

ولأن الأطفال يختلفون فيما بينهم من حيث الأمزجة والذكاء والطاقة والإتزان، لذلك فالمربي الحصيف والأب الحكيم هما اللذان يضعان الولد في المكان المناسب الذي يتفق مع ميوله، وفي البيئة الملائمة التي يصلح أن يكون فيها (علوان ، ١٤٠١ هـ ، جـ ٢، ص ١٠٠٩) .

كما يجب أن لا يكلف الطفل الصغير بالأمور الكبيرة خاصة ما يحتاج فيه إلى إدراك ، لذلك فلا يطالب الأطفال بنفس الإنجاز الذي يطالب به الطفل الكبير بل يراعى فرق السن والقدرة . (باحارث ، ١٤١٢ هـ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣) .

كما يجب أن لا نجعل الهدف كثرة التعليم لئلا يُرهَق الطفل بسرعة التعليم بل يجب مراعاة قدرة كل تلميذ على الاستيعاب ، لذلك لا يجب الإنتقال من موضوع إلى آخر حتى يفهم الطفل ويتقن ما سبق . (شمس الدين ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٥٣) .

وقد دعا الإسلام إلى استخدام جميع الطرق والوسائل والأساليب التربوية على حسب تأثيرها ومقدارها اللازم في كل مرحلة من مراحل عمر الطفل ، وأن الإقتصار على طريقة واحدة على إمتداد المراحل التربوية من عمر الطفل والتركيز على بعضها وإهمال بعضها يكون له أثر سلبي في التربية ، لذلك أمر الإسلام بمراعاة مبدأ الفروق الفردية .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

(البخاري / كتاب التوحيد / باب قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر / جـ ٤ ، ص ٤١٦)

والغزالي نجده يقر مبدأ الفروق الفردية فيقول : « إن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به ، ولا يذكر له وراء هذا تدقيقاً ... فإن ذلك يفتر رغبته

في الجلي ويشوش عليه قلبه ... فينقلب شيطاناً يهلك نفسه وغيره ، فلا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هي بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة في الجنة والنار » . (الغزالي ، د . ت ، جـ ١ ، ص ٥٨) .

ويقول « يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله » (الغزالي ، د . ت ، جـ ١ ، ص ٥٧) .

ثم شُبه المربي بالشيخ وجعله عند تهذيب الأطفال على دراية بحالة الطفل ، وسنه ومزاجه فقال : « فالشيخ لو أشار على الإنسان بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض الإنسان وفي حاله وسنه ومزاجه ، وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته » . (الغزالي ، د . ت، جـ ٣، ص ٦١) .

والملاحظ أن الغزالي قد تطرق إلى خطورة أن تُلقى إلى الطفل من العلم ما لا يحتمله عقله ولا يُلقى إليه إلا ما يبلغه عقله ، فإن ذلك مما ينفره من العلم ، ويخلط عليه تفكيره ، لذلك لابد أن يكون المعلم على علم وخبرة بالفروق الفردية بين الصبيان ، حتى يستطيع أن يقدم لكل صبي من العلم ما يلائم قدراته ، ويتمشى مع استعداده العقلي ، وتوجيهه التعليمي ، والمهني .

ثانياً : العقوبة :

والعقوبة باعتبارها مبدأ من مبادىء التربية الخلقية التي يتم في إطارها إكساب الطفل تلك المبادىء فقد تطرق الباحث إلى ما يجب عند استعمال هذا المبدأ ويرى أن عقاب الطفل على سوء خلقه يجب أن يأخذ منهج التدرج من الرحمة واللين والرفق في حالة التهذيب ثم المعاقبة عند سوء الخلق ، وهذه بعض ضوابط عقوبة الطفل :

١ ـ كيفية عقاب الطفل على سوء خلقه :

إن تربية الطفل بالعقوبة تجعله ينزجر ويكف عن أسوأ الأخلاق ، وأقبح الصفات ويكون لديه ما يردعه عن الاسترسال في الشهوات ، وإرتكاب المحرمات ، وإقتراف الموبقات ... وبدونها يتمادى الولد في الفاحشة ، ويصر الطفل بدونها على المفاسد والمنكرات ، فمن المهم جداً أن يختار المربي ما يلائم تأديب طفله وما يعالج به إنحرافه فقد يُكتفى في بعض الأحيان بموعظة بليغة، أو نظرة خاطفة، أو ملاحظة رقيقة أو إشارة عابرة ، أو كلمة زاجرة ، ثم تأتي العقوبة البدنية وكلها تعتمد على نوعية العمل السيء الذي قام به الطفل وعلى تربية الطفل .

ضوابط شرعية على عقوبة الطفل :

والعقوبة سواء كانت مادية أو معنوية يجب أن لا تخرج عن السياج الذي أحاطته بها الشريعة الإسلامية حتى تؤدى النتيجة المثلى التي يهدف إليها المربي أو الأب وهذا لا يأتي إلا إذا توفرت الحكمة عند كل من الأب والمربي ، وتوفر الحكمة يكون في استعمال الحزم في وقته ، واللين في حينه ، فلا يحلم في موضع الحزم ، ولا يشتد في موضع الحلم . (علوان ، ١٤٠١ هـ ، جـ ٢ ، ص ٧٧٠) .

أما عن شروط عقوبة الضرب كما ذكرها (علوان ، ١٤٠١ هـ) فهي :

١ ـ أن لا يلجأ المربي إلى الضرب إلا بعد استنفاذ جميع الوسائل التأديبية والزجرية .

٢ ـ ألا يضرب وهو في حالة غضب مخافة إلحاق الضرر بمن يريد تأديبه وعملاً بتوجيه الرسول ﷺ حين قال : « لا تغضب » .

(البخارى ، كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله تعالى، جـ ٤ ، ص ١١٢، رقم ٦١١٦)

٣ ـ تجنب الضرب في الأماكن المؤذية كالرأس ، والوجه ، والصدر ، والبطن لقوله ﷺ : عن معاوية القشيري قال : قلت يارسول الله : ماحق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت » .

(أبى داود / كتاب النكاح / باب في حق المرأة على زوجها / جـ ٢، ص ٤٠٢، رقم ١٨٧٥)

٤ ـ ملاحظة السن .

٥ ـ لا يضرب الطفل قبل بلوغ العاشرة ، لقوله ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

(أبى داود / كتاب الصلاة / باب متى يؤمر الغلام بالصلاة / جـ ١ ، ص ٩٧ رقم ٤٦٦)

٦ ـ إعطاء الفرصة لأول هفوة ، مع إعتذار الطفل وتوسط الشفعاء .

٧ ـ والضرب يكون من المربي نفسه فقط . (جـ ٢ ، ص ٧٦٩)

٢ ـ عدم استعمال القسوة في تهذيب سلوك الطفل :

إن الطفل ذو طبيعة حساسة ومن ثم يجب أن يعامل برفق ولين ورحمة لذلك على الآباء والمربين أن يسلكوا ذلك مع أطفالهم في حياتهم اليومية، وإذا أخطأ فلا يعاقب إلا تحت مظلة الرحمة واللين مع بقاء أثر العقوبة لينشأ الطفل على الأخلاق ويتربى على المكارم. فإذا نزعت الرحمة من قلب الأب أو المربي فلن تنفع التربية مع الطفل ولن تجدى معه وسائل التربية ولن يتقبل المواعظ . (علوان ، ١٤٠١ هـ ، جـ ٢، ص ٦٥٦)

وقد أشار الغزالي إلى طريقة عقاب الطفل السابقة وعدم معاقبته من أول غلطة بقوله :

« فإذا أظهر الطفل خلقاً سيئاً مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ، ولا يهتك ستره ، ولا يكاشفه ولا يظهر له أنه يُتصور أن يتجاسر أحد عليه مثله ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه ، فإن إظهار ذلك عليه ربما يُفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة ، فعند ذلك إن عاد ثانياً فينبغي أن يعاقب سراً ويعّظم الأمر فيه ، ويقال له : إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا، وإن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ، ولا تُكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يُهوّن عليه سماع الملامة ، وركوب القبائح ، ويسقط وقع الكلام من قلبه » (الاحياء ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٧٣) .

نظرة الإسلام في معاملة الطفل :

ونتيجة لما سبق فقد حث الإسلام على الرحمة والرفق واللين في معاملة الطفل حتى عند إيقاع العقوبة به ، وأعطى الرسول ﷺ للأجيال في كل مكان قدوة في

كيفية معاملة الأطفال ليتأسى بها المربون في كل مكان ، فهذه نماذج من رحمته ﷺ بالأطفال سواء في معاملتهم أو إيقاع العقوبة بهم :

ـ فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « قبّل رسول الله ﷺ الحسن والحسين إبنى على رضي الله عنهم وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً ، فقال الأقرع . إن لي عشرة من الولد ما قبلّت منهم أحداً قط ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : « من لا يرحم لا يُرحم » .

(البخاري / كتاب الأدب / باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته / جـ ٤ ، ص ٩١ رقم ٥٩٩٧)

ـ وعن عائشة رضى الله عنها أيضاً قالت : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال إنكم تقبّلون الصبيان ما نقبلهم فقال رسول الله ﷺ : « أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك » .

(البخاري / كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ، جـ ٤ ، ص ٩١ ، ٥٩٩٨)

ـ بينما كان رسول الله ﷺ يصلى بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمراً ، فلما قضى صلاته قالوا : قد أطلت السجود يارسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمراً ، فقال : إن إبني إرتحلني (أى جعلني كالراحلة) فركب على ظهري فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته .

(النسائي / كتاب الافتتاح ، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة ، جـ ١ ، ص ٢٤٦، رقم ١٠٩٣)

أما عند الخطأ وإيقاع العقوبة فقد كان الرسول ﷺ إذا رأى خطأً حدث من بعض أصحابه لا يوجه إليه بالتوبيخ مباشرة إنما يوجه التشنيع إلى الفعل جاعلاً الفاعل مجهولاً وكأنه لا يعرفه ، وذلك لكيلا يخدش حياءه فيخجل من سماع التشنيع بالفعل الذي إرتكبه ، فتطبيق هذا الأسلوب مع الصغار أنفع .

وروى عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان إذا بلغه عن الرجل السيء خبر لم يقل ما بال فلان يقول ؟ ولكن يقول ما بال أقوام يقولون كذا وكذا .

(أبو داود / كتاب الأدب باب حسن العشرة / جـ ٣ ، ص ٩٩ رقم ٤٠٠٥)

كما كان يقول ﷺ : « عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش »

(البخاري / كتاب الأدب باب لم يكن النبى ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً / جـ ٣ ، ص ٩٦ رقم ٦٠٣٠)

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى ﷺ بعثه إلى اليمن مع معاذ فقال لهما: « علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف » . (الجرجاني، ١٤٠٨ هـ جـ ٢، ص ٢٧٤) .

وعن أسلوب تربية الرسول ﷺ يقول أنس : كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة فقلت والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لِما أمرني به النبي ﷺ ، فخرجت حتى أمرّ على الصبيان وهم يلعبون في السوق ، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض عليّ بقفاي من ورائي قال : فنظرت إليه وهو يضحك فقال : يا أنيس أذهبت حيث أمرتك قال : قلت : نعم أنا ذاهب يارسول الله .

(مسلم / كتاب الفضائل ، باب كان الرسول ﷺ أحسن خلقاً ، جـ ٤ ص ١٨٠٥ رقم ٢٣١٠)

وقال معاويه تمجيداً في تربية الرسول ﷺ للأطفال : « بأبى هو وأمى ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فو الله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني » (مسلم /كتاب المساجد ، باب تحريم الكلام في الصلاة ، جـ ١ ، ص ٣٨١ رقم ٥٣٧) .

وقد بدأ الإمام الغزالي استعمال الرحمة في عقاب الطفل وعدم التعريض له لمعرفته بالآثار السيئة على الطفل بقوله :

« أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على الإصرار » (الغزالي ، د . ت ، جـ ١، ص ٥٧) .

٣ ـ التدرج في معاقبة الطفل سيء الخلق :

لعلاج مشاكل الأطفال يجب أن لا يلجأ المربي إلى الضرب إلا بعد أن يتدرج في وسائل العلاج فلعل إحدى الوسائل تؤدي إلى تقويم إعوجاج الطفل وتصلح من شأنه وترفع من مستواه الأخلاقي والاجتماعي وتجعل منه إنساناً سوياً ، وللدلالة على أن التدرج في المعاقبة أمر لا بد منه نرى الإسلام قد وضع طرقاً كثيرة قائمة على

التدرج منها مثلاً : الإرشاد إلى الخطأ بالتوجيه ثم بالملاحظة ثم بالإشارة ثم بالتوبيخ ثم بالهجر وأخيراً الإرشاد للخطأ بالضرب . (علوان ، ١٤٠١ هـ ، جـ ٢ ، ص ٧٦٢ ، ٧٦٧) .

وفيما يلي بيان ذلك :

أ ـ الإرشاد إلى الخطأ بالتوجيه :

ما رواه عمر بن أبي سلمة رضى الله عنه قال : كنت في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفه فقال لي : « ياغلام سمّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك » (مسلم / كتاب الأشربه ـ باب آداب الطعام والشراب وأحكامها / جـ ٣، ص ١٥٩٩ رقم ٢٠٢٢) .

ب ـ الإرشاد إلى الخطأ بالملاطفة :

ما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : أُتي بشراب فشرب فيه وعن يمينه غلام[١] وعن يساره أشياخ فقال الرسول ﷺ للغلام أتأذن لي أن أعطي هؤلاء، فقال الغلام : لا ولن أُوثر بنصيبي منك أحداً، فتلَّه[٢] رسول الله ﷺ في يده .

(البخاري / كتاب الأشربه ـ باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشرب ليعطى الأكبر، جـ ٤، ص ١٩ رقم ٥٦٢٠)

وملاطفة الرسول ﷺ للغلام ثم وضع الإناء في يده رغم رفض الغلام لطلب الرسول ﷺ .

جـ ـ الإرشاد إلى الخطأ بالإشارة :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفضل كان رديف الرسول ﷺ فجاءت إمرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه وجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ... فقالت يارسول الله إن فريضة الله تعالى على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال : نعم وذلك في حجة الوداع .

(البخارى / كتاب الحج ـ باب وجوب الحج وفضله ، جـ ١ ، ص ٤٦٩ ، رقم ١٥١٣)

---

(١) عبدالله بن عباس .

(٢) وضعه في يده .

د ـ الإرشاد إلى الخطأ بالتوبيخ :

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : سابيت رجلاً فعيرته بأمه (قال له يا ابن السوداء) فقال رسول الله ﷺ : يا أبا ذر « أعيرته بأمه ، إنك إمرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، وإن كلفتموهم فأعينوهم » (البخاري ـ كتاب الإيمان ـ باب المعاصي من أمر الجاهلية ، جـ ١ ، ص ٢٦ رقم ٣٠) .

هـ ـ الإرشاد إلى الخطأ بالهجر :

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن الحذف (أى رمي الحصى بالسبابة والإبهام) وقال : « إنه لا يقتل الصيد ولا ينكأ العدو وإنه يفقأ العين ويكسر السن » .

وفي رواية لإبن مغفل حذف فنهاه وقال إن رسول الله ﷺ نهى عن الحذف وقال : « إنها لا تصيد صيداً ...» ثم عاد ، فقال : أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم عدت تحذف ؟ لا أكلمك أبداً .

(البخاري ـ كتاب الأدب ـ باب النهى عن الحذف ، جـ ٤ ، ص ١٣٢ رقم ٦٢٢٠)

و ـ الإرشاد إلى الخطأ بالضرب :

فقد ثبت أن النبى ﷺ رأى أبا بكر رضي الله عنه وهو يضرب غلاماً له فتبسم ولم ينكر عليه . (الحاكم ، كتاب المناسك/ جـ١ ، ص٤٥٤ ، سنده صحيح)

ونستنتج من هذا الحديث أن ضرب الولد عند الحاجة لتأديبه وتربيته جائز . وقد أمر الرسول ﷺ : « بتعليق السوط في البيت » .

(البخاري ، الأدب المفرد ، باب تعليق السوط، حديث ١٢٣٤ ، ص ٤٠٨)

وتعليق السوط في البيت يوحي بتخويف الطفل وإمكانية إيقاع العقوبة ، وبناءً عليه ينزجر الولد ويرتدع .

واتبع الغزالي مبدأ التدرج في معالجة بعض الأخلاق المذمومة فيقول :

« إذا كان الطفل لا يسخو بترك الرعونة رأساً أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة ، فينبغي أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه، فإن رأى الغضب غالباً عليه ألزمه الحلم والسكوت، وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق، ويلزمه خدمة من ساء خلقه ، حتى يمرن نفسه على الإحتمال معه ... وإذا رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم وقليل الطعام ، ثم يكلفه أن يهيىء الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك فيتعود الصبر وينكسر شرهه ، وكذلك إذا رأى شاباً متشوقاً إلى النكاح وهو عاجز فيأمره بالصوم ، وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والأدم رأساً حتى تنكسر شهوته » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣، ص ٦٢) .

وطريقة التدرج هذه التي استخدمها الغزالي في معالجة السلوك هو مبدأ إسلامي توجيهي ورد في القرآن الكريم قبل الغزالي بأربعة قرون، في علاج بعض القضايا الاجتماعية وتحريمها ، مثل تعاطي الخمر ، والتعامل بالربا ، إذ لم يحرمهما دفعة واحدة ، وإنما تدرج في ذلك ، وذلك بتنفير الناس منها بطريقة تدريجية حتى إنتهى الأمر بتحريمهما تحريماً تاماً دون أن يتذمر الناس ، أما إذا ما حُرمت دفعة واحدة فربما لن يتقبلها الناس ، وهى التي كانت من أساسيات حياتهم ولا غنى لهم عنها . وما ذلك إلا لأن الله سبحانه وتعالى وهو العليم بخلقه، والخبير بعباده ، عالجهم بما يصلح شأنهم ، ويشفيهم من أسقامهم .

ثالثاً : بعض المعايير والقيم الخلقية :

لإبراز الدور الهام لبعض المعايير والقيم الأخلاقية والتي يتم عن طريقها إكساب الطفل لبعض الصفات الخلقية والعادات الحميدة والتي يتحلى بها الطفل في حياته اليومية ، والتي تنعكس على تكوين شخصيته ، وعلى أنماط سلوكه وتعامله مع من حوله .

يقول علماء النفس إن الطفل يبدأ مرحلة الاستيعاب إبتداءً من سن الخامسة ففى هذه المرحلة يبدأ تفهمه للآداب الاجتماعية والتعود عليها ، فإذا أمكنه التكيف معها فلا بأس فيتعلم مثلاً التواضع ، والصدق ، والتعاون على البر مع ربط هذه الآداب بأصولها من الكتاب والسنة . (فرج ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٨٧) .

ومن أهم الآداب والمبادىء الأخلاقية التي يجب أن يتعود عليها الطفل :

أن يتعلم الطفل الواجب ، والعدالة ، والمساواة ، والإنسانية والرحمة ، والحرية والمسئولية التابعة لها ، والإخلاص ، والصدق ، والمحافظة على العهود ، والأمانة ، والتسابق إلى الخيرات ، والفضيلة ، وإتقان العمل ، والإعتدال في أمور يكون الإفراط فيها ضار ، وأن يضع نفسه موضع الآخرين عند المعاملة ، وأخيراً الإلتزام بالسلوك الخيرّ وترك السلوك الضار ، أو الشر ، والأمر بالأول والنهى عن الثاني والتعاون من أجل ذلك . (يالجن ، ١٣٩٧ هـ ، ص ٧٦ ، ٧٧) .

ولهذا يلزم على الأب أو المربي أن يوجه الطفل إلى مثل هذه الآداب والكليات الخلقية ويراقب عملية الممارسة والتطبيق لترسيخ هذه المفاهيم ولتصبح في النفس لا تنفك عنه ولا تنفصل ، لأن هذه الصفات هى كالجذور تغرس في مرحلة مبكرة يوماً بعد يوم .

ومما لا شك فيه أن الإسلام قد حث على جميع الخصال والصفات الحميدة، وذلك بُغية تكوين الإنسان الصالح، والآيات والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة فمن الآيات قول الله تعالى : وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ (لقمان : ١٨ ـ ١٩)

فتشير هاتان الآيتان إلى آداب عامة مع الناس مثل حسن المخاطبة ، وترك الكبر، واحتقار الناس، والأمر بالتوسط في السير، وخفض الصوت، بقدر الحاجة .

وهناك بعض الصفات التي لها علاقة بالتعامل المباشر بين الناس، فقد حث الإسلام على التغلب عليها مثل : الغضب، وكظم الغيظ، ودفع الاساءة بالإحسان للتغلب على روح الانتقام أو الثأر ، والذي هو سلوك فطري في الإنسان .

فيقول ﷺ : « ليس الشديد بالصرعة ، قالوا : فالشديد أيُّم هو ؟ يا رسول الله ! قال : الذي يملك نفسه عند الغضب » .

(مسلم، كتاب البر والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ويأى شيء يذهب الغضب ، جـ ٤، ص ٢٠١٤، رقم ١٠٨)

وفيه دلالة عن أن فعالية الغضب كالتدريب على المصارعة .

أما عن كظم الغيظ فقال تعالى :

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ
عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ (آل عمران : ١٣٤)

أما عن دفع الإساءة بالإحسان فقال الله تعالى :

وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ (فصلت : ٣٤)

وهنا يجب تدريب الطفل على هذه الخصال حتي يتعود عليها .

وقد حث الإمام الغزالي على بعض الآداب الاجتماعية والخاصة بسلوك الطفل الخاص به والتي عن طريقها تتكون شخصية الطفل فيقول :

« ينبغي أن يمنع الطفل عن النوم نهاراً فإنه يورث الكسل، ولا يمنع منه ليلاً ، ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ، ولا يسمن بدنه فلا يصبر على التنعم بل يعوّد الخشونه في المفرش والملبس والمطعم ، وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفيه فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح ، فإذا ترك تعود فعل القبيح ، ويُعود أن ألا يكشف أطرافه ، ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمها إلى صدره، ويمنع أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه، أو بشيء من مطاعمه، وملابسه، أو لوحه ، أو دواته، بل يع ود التواضع ، والإكرام لكل من عاشره ، والتلطف في الكلام معهم ، ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئاً بدًا له حشمة وإن كان من أولاد المحتشمين ، بل يعلم أن الرفعة في الإعطاء لا في الأخذ ، وأن الأخذ لؤم وخسة ودناءة : وإن كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة ، وأن ذلك من دأب الكلب فإنه يبصبص في إنتظار لقمة والطمع فيها » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣، ص ٧٣) .

والملاحظ أن الغزالي قد ركز على الصفات المادية المحسوسة مثل الكسل والخشونة في الملبس ... وغيرها ، بينما كان التركيز السابق على الصفات المعنوية كالصدق .. والنظافة .. وغيرها .

الفصل الرابع

بعض الجوانب التطبيقية للتربية الخلقية عند الغزالي

أولاً : آداب الأسرة :

١ ـ آداب الطعام والشراب .

٢ ـ آداب الملبس .

٣ ـ آداب الكلام .

٤ ـ آداب المخالطة .

٥ ـ آداب المجلس.

ثانياً : آداب التعلم :

١ ـ ما يجب أن يتعلمه الطفل في المدرسة .

٢ ـ بعض الآداب الشرعية .

ثالثاً : الآداب الاجتماعية :

التحصين من بعض الأخلاق السيئة المضرة بالمجتمع .

رابعاً : آداب التعامل :

١ ـ آداب التعامل مع الوالدين ومن في مقامهما.

٢ ـ بعض آداب المعاملة .

بعض الجوانب التطبيقية للتربية الخلقية عند الغزالي

أولاً : آداب الأسرة :

وتشمل آداب الطعام والشراب ، والملبس ، والكلام ، والمجلس ، والمخالطة .

ا ـ آداب الطعام والشراب :

وهى آداب يجب على الأب أو المربي أن يعلمها لأطفاله ويلاحظهم في تطبيقها، اشتملت عليها سنة المصطفى ﷺ في الأكل والشرب منها :

أ ـ غسل اليدين قبل الطعام وبعده :

فعن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بركة الطعام الوضوء قبله ، والوضوء بعده » .

(الترمذي ، كتاب الأطعمة ، باب الوضوء قبل الطعام وبعده ، جـ ٤ ، ص ٢٠٨، رقم ١٩٢٣)

ب ـ التسمية في أول الطعام والحمد في آخره :

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا أكل أحدكم فليذكر إسم الله تعالى فإن نسي أن يذكر إسم الله تعالى في أوله فليقل : باسم الله أوله وآخره » (أبو داود، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، جـ ٢، ص ١٠٩٧، رقم ١٩٣٤).

فإذا سمى الإنسان يمتنع الشيطان بها وإن لم يُسمِّ استحله الشيطان وإن أتى بها في أثنائه قاء الشيطان كل شيء أكله . (إبن مفلح ، د . ت ، جـ ٣، ص ١٧٩) .

والنبي ﷺ كان إذا انتهى من أكله أو شربه قال : « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » (مسند أحمد ، جـ ٣ ، ص ٣٢) .

جـ ـ أن يأكل بيمينه ومما يليه :

ويعود الأولاد الأكل باليد اليمنى، فالأكل بالشمال منهى عنه لقوله ﷺ : « لا تأكلوا بالشمال فإن الشيطان يأكل بشماله » .

(مسلم / كتاب الأشربة ـ باب آداب الطعام والشراب وأحكامها، جـ ٣ ، ص ١٥٩٨، رقم ٢٠١٩)

فعن عمر بن أبي سلمة رضى الله عنهما قال : كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة (أى تتحرك في الإناء) فقال لى رسول الله ﷺ : « ياغلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » .

(مسلم / كتاب الأشربة ـ باب آداب الطعام والشراب وأحكامها ، جـ ٣ ، ص ١٥٩٩، رقم ٢٠٢٢)

والبركة تنزل في وسط الطعام إذا أكل كل واحد من أمامه دون أن يخوض في وسط الطبق ، قال ﷺ : « البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافته ولا تأكلوا من وسطه » .

(الترمذى ، كتاب الأطعمة باب كراهة الأكل من وسط الطعام ، حديث ١٤٧٤ ، جـ ٢ ، ص ١٥٩)

د ـ عدم الاستهانة بالنعم أو الأكل متكئاً :

لما في ذلك من الضرر الصحي ، وظواهر الكبر ، ويدل على الاستخفاف بنعم الله ، ولأن الأكل لا يصل إلى قعر المعدة الذي هو محل الهضم لذلك نبه الرسول ﷺ على كراهته . (ابن مفلح ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ١٨٢) .

فعن أبى جحيفة وهب بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى لا آكل متكئاً » (البخاري ، كتاب الأطعمة ، باب الأكل متكئاً ، جـ ٣ ، ص ٤٣٥ ، رقم ٥٣٩٨) .

وكان الرسول ﷺ إذا أكل طعاماً لعق أصابعه الثلاث وقال : إذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها ، وليميط عنها الأذى ، وليأكلها ، ولا يدعها للشيطان ، وأمرنا أن نسلت القصعه وقال : « إنكم لا تدرون في أى طعامكم البركة » .

(مسلم ، كتاب الأشربة ـ باب استحباب لعق الأصابع والقصعه ، جـ ٣، ص ١٦٠٦، رقم ٢٠٣٣)

هـ ـ استحباب التحدث على الطعام والدعاء لضيفه إذا فرغ من الطعام :

لأن النبي ﷺ : « سأل أهْلَه الأُدُمَ فقالوا : ما عندنا إلا خل فدعا به فجعل يأكل منه ، ويقول نعم الأدم الخل ، نعم الأدم الخل » .

(مسلم ، كتاب الأشربة ـ باب فضيلة الخل والتأدم به ، جـ ٣، ص ١٦٢٢، رقم ٢٠٥٢)

ويروى أن النبى ﷺ جاء إلى سعيد بن عبادة فجاءه بخبز وزيت ، فأكل ، ثم قال النبى ﷺ : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » (أبو داود ، كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام ، جـ ٢ ، ص ٧٣٠ ، ٣٢٦٣) .

و ـ ألا يبدأ بالطعام ويوجد من هو أكبر منه سناً :

فعن حذيفة رضي الله عنه قال : « كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده » .

(مسلم / كتاب الأشربة ـ باب آداب الطعام والشراب وأحكامها ، جـ ١٣ ، ص ٢٧٢ ، رقم ٢٠١٧)

ز ـ عدم الإكثار من الأكل والإفراط في الشبع :

لما لها من أضرار حيث أن الإفراط في الشبع ، وإدخال الطعام على الطعام ، ومطاوعة الشره ، والتعريض بالنفس الغالب فيه الأذى ، وكثرة الأكل تجلب النوم . (ابن مفلح ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ١٩٦)

وكذلك يوصي الإمام (إبن القيم / ١٤١٢ هـ) بمنع الولد من الشبع وملء المعدة فيقول : « من سوء التدبير للأطفال أن يمكنوا من امتلاء المعدة بالطعام ، وكثرة الأكل والشرب ، وأنفع التدبير لهم أن يعطوا دون شبعهم ، فيجود هضمهم ، وتقل الفضول في أبدانهم ، وتصح أجسادهم ، وتقل أمراضهم لقلة فضلاتهم ، فالصبي إذا شبع كثر نومه ، واسترخاؤه ، ويعرض له نفخة في بطنه ، ورياح غليظة » (ص ١٤٣) .

وقد نهى الرسول ﷺ من إمتلاء المعدة قال : « ما ملأ آدمي وعاءاً شراً من بطنه ، بحسب إبن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفَسَه » . (الترمذي / أبواب الزهد ـ باب ماجاء في كراهة كثرة الأكل/ جـ ٢، ص ٢٨١) .

وقد ذم الرسول ﷺ الإكثار من الطعام ، وبين أن للمؤمن معِيٌ واحد ، فقال ﷺ : « المؤمن يأكل من معًى واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء » .

(مسلم، كتاب الأشربة، باب المؤمن يأكل من معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء ، رقم ٢٠٦١ ، جـ ٣ ، ص ١٦٣١)

أما آداب الشرب فمنها كراهة الشرب من فم السقاء ، وكراهة النفخ في الإناء ، واستحباب الشرب جالساً ، فينبغي أن يأخذ الإناء بيمينه ويسمى الله ثم يشرب منه مصاً . لأن الرسول ﷺ قال : « مصوا الماء مصاً ولا تعبوه عباً فإن الكباد من العب[1] » (الزبيدي ، جـ ٥ ، ص ٢٢٢) وقال الزبيدي بأنه حديث حسن .

ويقول الرسول ﷺ : « يُتنفس دون الاناء ثلاثاً فإنه أروى وأمرأ وأبرأ » .

(مسلم، كتاب الأشربة باب كراهة التنفس في الإناء واستحباب التنفس ثلاثاً خارج الإناء، جـ ٣، ص ١٦٠٢، رقم ٢٠٢٨)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ : « نهى أن يشرب من فيّ السقاء » (البخاري ، كتاب الأشربة ـ باب الشرب من فم السقاء جـ ٤ ، ص ٢٠ ، رقم ٥٦٢٨) .

لأن الشرب في السقاء يقذِّر الماء على غيره وينتنه بتردد أنفاسه ، والمتفق عليه عند الأطباء في عصرنا أن النفَسَ أبخرة سامة (ابن مفلح ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ١٧٩) .

وقد اتفق الغزالي مع تلك الآداب التي سبق ذكرها والمؤيدة بالأحاديث الشريفة وهذا إنما يدل على أن الأصل الذي رجع إليه الغزالي هو تعاليم الإسلام وهذا يظهر من قوله :

« أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه ، وأن يقول بسم الله عند أخذه ، وأن يأكل مما يليه ، وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره ، وأن لا يحدق النظر إليه ، ولا إلى من يأكل ، وأن لا يسرع في الأكل ، وأن يجيد المضغ ، وأن لا يوالي بين اللقم ، ولا يلطخ يديه ولا ثوبه ... وأن يُعوّد الخبز القفار في بعض الأوقات ، ويُقَبّح عنده كثرة الأكل ، ويُمتدَح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٧٢) .

٢ ـ آداب اللبس :

اللبس منه ما يستر الجسد ، ومنه ما هو للزينة والتنعم ، ومنه ما هو وقاية من البرد ، ومنه ما هو لباس في الرجل ، أو حلية يتحلى بها النساء .

---

(١) الكباد : وجع الكبد .

فمن القضايا المتعلقة باللبس ما يخص المباح منها وغير المباح ، فالباس بذاته نعمة من الله يجب شكره عليها ، حيث يقول سبحانه وتعالى :

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا
يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ (الأعراف : ٢٦)

ويرى علماء النفس أن الطفل يهتم بالملابس كدليل على إنسجامه مع الجماعة، لذلك يحب أن تكون ملابسه مشابهة لملابس بقية أعضاء الجماعة حتى تتقبله الجماعة ولا تسخر منه ، كما أنها تزيد الطفل ثقة بنفسه لأنه يدرك رأى الآخرين في ملابسه ، ومما يبعث السرور في نفس الطفل الألوان الزاهية والخامة الجيدة والملمس المريح والملابس الجديدة (منصور ، ١٤٠ هـ ، ص ٤٢٣) .

وقد استحب الرسول ﷺ من ألوان اللباس الأبيض وحث على لبسه فيقول ﷺ : « إلبسوا البياض فإنها أطهر وأطيب » .

(الترمذي ، كتاب الأدب ، باب ماجاء في لبس البياض ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ ، رقم ٢٢٥٣)

وأن يعود الطفل لبس الأبيض من الثياب وذلك إتباعاً للسنة ويكون ذلك عند خروج الطفل للزيارة ، أو للصلاة ، أو لمقابلة الناس ، ولا بأس بلبس الملون من الثياب أو غير المنقوشة للبيت أو للعب وذلك لأنها بطيئة الإتساخ وأكثر تحملاً لما يعلق بها من جراء لعب الأطفال ، أما البنات فلا بأس بلبس الملون من الثياب (باحارث ، ١٤١٢ هـ ، ص ٤٠٦) .

ويعود الولد لبس النعال لقوله ﷺ : « استكثروا من النعال فإن الرجل لا يزال راكباً ما انتعل » (مسلم ، كتاب اللباس والزينة، باب استحباب لبس النعال، جـ ٣ ، ص ١٦٦٠، حديث ٢٠٩٦) .

يجب أن يعلم الطفل دعاء لبس الثوب الجديد كما ورد عن الرسول ﷺ فإنه كان يقول : « الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة » .

(الدارمي ، كتاب الاستئذان ، جـ ٢ ، ص ٢٩٢)

وعندما ينزع الطفل ثيابه يقول (بسم الله) ليستر عورته عن أعين الجن (باحارث ، ١٤١٢ هـ ، ص ٤٠٦) .

وفي العادة ينفر الولد ويأنف من مشابهة البنات، فعندما يقرر عنده أن سلوكاً معيناً أو فعلاً هو من أفعال البنات ، فإنه غالباً يتركه ولا يعود إليه ، لذلك يمنع الطفل من لبس ملابس النساء ، والتشبه بهم ، كما يجب أن يجنب الطفل لبس الحرير فإنه مفسد له ، ومخنث لطبيعته » (إبن القيم ، ١٤١٢ هـ ، ص ١٤٧) .

لذا حرمه الشرع بقوله ﷺ : « حُرّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم » .

(الترمذي ، كتاب اللباس ، باب الحرير والذهب للرجال ، جـ ٢ ، ص ١٤٤ ، رقم ١٤٠٤)

ويحرم أيضاً لبس الذهب للرجال لما فيه من سرف وخيلاء وكسر لقلوب الفقراء ، أما لبس الحرير ففيه مفسدة ، وتشبه بالنساء فهو يورث الأنوثة والتخنث، فهو ضد الشهامة والرجولة (إبن مفلح ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٤٩٢ ، ٤٩٧) .

وعن لبس المحرمات والتي هي محرمة على الرجال ، وتحرم على الأطفال أيضاً وهو أرجح أقوال العلماء : « فإن ما حرم على الرجل فعله حرم عليه أن يُمكن منه الصغير » (إبن تيمية ، ١٤١٢ هـ ، جـ ٢٢ ، ص ١٤٣) .

وقد حذر الغزالي من لبس بعض أنواع من الثياب وملبوسات الزينة وذلك حتى يحافظ الطفل السليم على شخصيته الإسلامية المميزة، وبيان مظاهر الرجولة عليه، وعدم تشبهه بالنساء ، والطفل الذي يفخر برجولته لن يرضى الميل إلى أفعال النساء والمخنثين خشية نسبته إليهم، وهو أمر مرفوض عرفاً من الطفل وشرعاً فقد قال ﷺ :

« لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » (البخارى ، كتاب اللباس ، باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال ، جـ ٤ ، ص ٧١ رقم ٥٨٨٥) .

ومن ذلك ما قرره الغزالي بقوله : « ويحبب إليه من الثياب البيض دون الملون والإبريسم[١]، ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين وأن الرجال يستنكفون منه » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٧٢) .

٣ـ آداب الكلام :

من الآداب الاجتماعية الهامة التي ينبغي على المربين أن يعيروها إهتمامهم أن يُعوِّدوا أطفالهم منذ الصغر على أدب الكلام ، حتى إذا كبر الطفل وترعرع عرف كيف يُحدث الناس ؟ وعرف كيف يستمع إليهم ؟ فهو بذلك يقلل من إحتمال الزلل والخطأ على الغير .

فمن هذه الآداب :

أ ـ التمهل بالكلام أثناء الحديث :

لأن التمهل في الحديث يساعد على فهم المراد من الكلام ، ويعقل من في المجلس مغزى الحديث ويتدبروه ، وهذا ما كان يفعله النبى ﷺ تعليماً لأمته . فقد ورد أن النبي ﷺ « كان يُحدّث حديثاً لو عَدّهُ العاد لأحصاه » .

وفي رواية أخرى أن الرسول ﷺ لم يكن يسرد الحديثّ كسردكم .

(البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب صفة النبى ﷺ ، جـ ٢ ، ص ٥١٩ ، رقم ٣٥٦٧ ، ٣٥٦٨)

ب ـ البعد عن التكلف في الفصاحة ، والتحدث بما لا يخل ولا يمل :

فيجب إعطاء الحديث حقه بدون أن يصل إلى الإختصار المخل ، ولا إلى التطويل الممل ليكون الحديث أوقع في نفوس السامعين . فقد روى عن جابر بن سمرة قال: « كنت أصلى مع رسول الله ﷺ، فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً » (أى وسطاً) (مسلم ، كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة ، جـ ٢ ، ص ٥٩١ رقم ٨٦٦) .

جـ ـ الإصغاء التام إلى المتحدث ، وإقباله على الجلساء جميعاً :

فيجب الإصغاء إلى المتحدث حتى يفهم ما يقول ويحس المتحدث أنه ذو قيمة عند مستمعيه، وكان الصحابة حينما يحدثهم النبى ﷺ بحديث كأن على رؤوسهم الطير

(١) الإبريسم : الحرير ، من القاموس المحيط ، جـ ٤ ، ص ٧٩ .

من فرط المهابة، وشدة الاهتمام، وفي المقابل كان الرسول ﷺ يصغي كل الإصغاء إلى من يحدثه أو يسأله بل يقبل عليه يكلمه ويلاطفه . (علوان ، ١٤٠١ هـ ، جـ١ ، ص ٤٥٠) .

فعن أنس قال : « ما رأيت رجلاً إلتقم أذن النبي ﷺ (يعني يكلمه سراً) فينحي رأسه عنه (أن يرفعه عنه) حتى يكون الرجل هو الذي ينحى رأسه ، وما رأيت رسول الله ﷺ أخذ بيد رجل فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده » (أبو داود ، كتاب الأدب ، باب في حسن العشرة ، جـ ٣ ، ص ٩١٠ ، رقم ٤٠٠٩) .

د ـ عدم الحلف والتحدث بالخير أو الصمت :

فإن الرسول ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت .. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره .. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .

(البخاري، كتاب الأدب ، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ، جـ ٤ ، ص ١١٦ ، رقم ٦١٣٥)

وهذه الآداب هي التي أشار إليها الغزالي بقوله :« يمنع كثرة الكلام ، ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة ، وأنه فعل أبناء اللئام ، ويمنع اليمين رأساً صادقاً كان أو كاذباً حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ، ويمنع أن يبتدىء بالكلام ، ويعود أن لا يتكلم إلا جواباً وبقدر السؤال ، وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سناً » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٧٣) .

٤ ـ آداب المخالطة :

من أهم آداب المخالطة وجوب مراقبة الطفل ومنعه من الإختلاط بقرناء السوء، والذي سوف يتعلم منهم الألفاظ والأفعال السيئة من سب وشتم . فقد حذر الرسول ﷺ من السب والشتم ونهى عنهما ، وقد ركز الإمام الغزالي على وجوب تربية الطفل من السنوات الأولى من عمره وإهمال ذلك يؤدي إلى التصاق ردىء الأخلاق به وقد يصعب نزع هذه الأخلاق السيئة منه بعد كبره .

وأن يمنع الولد من مخالطة نوى الرفاهية فيربى الولد على عدم التنعم والرفاهية الزائدة على الحد والتي قد تفسد أخلاق الأطفال لذلك يقول الرسول ﷺ : « إياكم والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » . (مسند أحمد ، جـ ٥ ، ص ٢٤٤) .

فيقول الإمام الغزالي : « يحفظ الصبى عن الصبيان الذي عودوا التنعم ، والرفاهية ، ولبس الثياب الفاخرة، وعن مخالطة كل من يُسمعه ما يُرغبه فيه ، فإن الصبي مهما أهمل في أبتداء نشوءه خرج في الأغلب ردىء الأخلاق ، كذاباً ، حسوداً ، سروقاً ، نماماً ، لحوحاً ، ذا فضول وضحك وكياد ومجانه ، إنما يحفظ من ذلك بحسن التأدب ... ومن مخالطة من يجرى على لسانه شيء من السب واللعن، فإن ذلك يسرى لا محالة من القرناء السوء » (الغزالي ، د . ت، جـ ٣، ص ٧٢، ٧٣) .

وهذه بعض الصفات الرديئة والسيئة التي يكتسبها الطفل من المخالطة وأنها لو أهملت وهو صغير يصعب تغير هذه الأخلاق والصفات السيئة وهو كبير .

٥ ـ آداب المجلس :

إن للمجلس آداب إذا عقلها الطفل وعمل بها دل ذلك على تمام أدبه ، وحسن خلقه ، ومن هذه الآداب تعلم الطفل كيفية الجلوس الصحيحة ، وآداب العطاس ، والتثاؤب ، وفي الشريعة الإسلامية طريقة ومنهاج تدلنا على هذه الآداب ، ذكر (علوان ، ١٤٠١ هـ) بعضاً منها :

أ ـ مصافحة من يلقاه في المجلس :

لأن الرسول ﷺ قال : « ما من مسلمان يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا » (أبو داود ، كتاب الأدب ، باب المصافحة، جـ ٣، ص ٩٨٠، رقم ٤٣٤٣) .

ب ـ أن يجلس في المكان الذي يخصصه له رب المنزل أو حيث ينتهى به المجلس :

وذلك لكون رب المنزل أعرف بالمكان الذي يجلس فيه ضيفه وهو صاحب الحق في ذلك .

قال تعالى : فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ (النور : ٢٨)

وقال ﷺ : « من دخل دار قوم فليجلس حيث أمروه فإن القوم أعلم بعورة دارهم » (الهيثمي ، كتاب البر والصلة ، باب أدب الضيف ، جـ ٨ ، ص ٣٢٦ ، رقم ١٣٦٢٦) .

وعن جابر بن سمرة قال : « كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهى به المجلس » (أبى داود / كتاب الأدب ـ باب التخلق ، جـ ٣ ، ص ٩١٦ رقم ٤٠٤٠) .

جـ ـ أن يجلس في محاذاة الناس لا في وسطهم :

وعن الجلوس بين إثنين فإن الرسول ﷺ قال : « لا يحل لرجل أن يفرق إثنين إلا بإذنهما » .

(أبى داود ، كتاب الأدب، باب الرجل يجلس بين الرجلين بغير إذنهما، جـ ٣ ، ص ٩١٨، رقم ٤٠٥٥)

د ـ ألا يتسار إثنين في حضرة ثالث في المجلس :

لأن الرسول ﷺ قال : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى إثنان دون الآخر ، حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه » .

(البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة ، جـ ٤ ، ص ١٥٠ ، رقم ٦٢٩٠)

والعلة في النهي أن الثالث يظن الظنون، ويحزن لعدم الإكتراث به، أما إذا تناجى إثنان دون إثنين أو أكثر فإنه يجوز إن لم يورث ذلك شُبهة. (علوان، ١٤٠١ هـ، جـ ١، ص ٤٤٦) .

هـ ـ ومن ترك مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به :

لأن الرسول ﷺ قال: « إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به ».

(مسلم / كتاب السلام ـ باب إذا قام من مجلسه ثم عاد فهو أحق به ، جـ ٤ ، ص ١٧١٥ رقم ٢١٧٩)

و ـ الاستئذان قبل الانصراف من المجلس :

وذلك للحفاظ على حرمة البيوت وصيانة الأعراض والحرمات ، فعن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ : « إطلع رجل على حُجَر من حُجر النبى ﷺ ومع النبى ﷺ مِدْرى يحُك به رأسه فقال : لو أعلم انك تنظر لطعنت به في عينك ، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر » .

(البخاري ، كتاب الأدب ، باب الاستئذان من أجل البصر ، جـ ٤ ، ص ١٣٨ ، رقم ٦٢٤١)

ز ـ كفارة المجلس :

فيجب أن يعلم الأطفال دعاء كفارة المجلس ، لأن الرسول ﷺ إذا أراد القيام من مجلسه قال : « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك » فقال رجل : يارسول الله إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى ؟ قال : « ذلك كفارة لما يكون في المجلس » .

(الحاكم ، كتاب الدعاء والتكبير والتسبيح والتهليل والذكر ، جـ ١ ، ص ٧٢١ ، رقم ١٩٧١)

وأن يعود الأب ولده أدب المجلس فإذا حضر الكبار استمع إلى حديثهم فلا يتكلم إلا إذا طلب منه ، وهذا نهج أطفال الصحابة ، فعن إبن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أخبرونى بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها ولا تحتُّ ورقها ـ فوقع في نفسي النخلة ـ ، فكرهت أن أتكلم وثَم أبو بكر وعمر . فلما لم يتكلما قال النبى ﷺ : هى النخلة ـ فلما خرجت مع أبي قلت ياأبتاه وقع في نفسى النخلة قال : ما منعك أن تقولها ؟ لو كنت قلتها كان أحب إلىّ من كذا وكذا قال: ما منعني إلا أنى لم أرك ولا أبا بكر تكلمتا فكرهت » .

(البخاري ، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال، جـ ٤ ، ص ١١٨ رقم ٦١٤٤)

ومن آداب المجلس تعويد الطفل على اداب العطاس والتثاؤب، فهى مكملة لأدب الطفل ، لربما فتح الطفل فاة في المجلس بصورة قبيحة ، أو عطس ، أو سعل في وجه أحد الجالسين فأصاب بعضهم من الرذاذ المتطاير ، إلى جانب رفع الصوت بتركه تخمير وجهه ، وهذا مما لا شك فيه من سوء الأدب وقبح التصرف ،

وكذلك يجب أن يعود الطفل على كظم الصوت عند العطاس ، ويُعلّم أن يحمد الله بعده ، ويُذكّر إذا نسى ، ويعلم كيف يرد على من شمته (باحارث ، ١٤١٢ ، ص ٢٤٠) .

فمن آداب العطاس :

١ ـ أن يغطي الطفل أنفه عند العطاس، ويحول وجهه عن الطعام والشراب ويغض صوته . لأن الرسول ﷺ كان : « إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه وغض بها صوته » . (الترمذى، كتاب الأدب، باب ما جاء في خفض الصوت، جـ ٢، ص ٣٥٥، رقم ٢٢٠٥) .

٢ ـ أن يحمد الله بعد العطاس ويشمته الذي معه لقول الرسول ﷺ : « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم » .

(البخاري، كتاب الأدب ، باب إذا عطس كيف يشمت ، جـ ٤، ص ١٣٣ ، رقم ٦٢٢٤)

وكذلك إذا نسى العاطس الحمد فيذكّر بحمد الله ثم يشمت ، فإذا تكرر العطاس وزاد عن ثلاثة فلا يطلب تشمية .

آداب التثاؤب :

إن التثاؤب من الكسل ، وثقل البدن ، والميل إلى الاسترخاء بعكس العطاس الذي يدل على النشاط والخفة (باحارث ، ١٤١٢ هـ ، ص ٢٤٠) .

فالتثاؤب من فعل الشيطان ويحب التعامل معه بما جاء به الرسول ﷺ حيث قال : « التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع » .

(مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب، جـ ١٨، ص ١٦٤، رقم ٢٩٩٤)

وكظم التثاؤب برده كما ورد في الحديث : « إن الله تعالى يحب العطاس ، ويكره التثاؤب ، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله ، أما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان » .

(البخاري، كتاب الأدب ، باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب ، جـ ٤، ص ١٣٣، رقم ٦٢٢٣)

أما إذا غلبه التثاؤب فليضع يده على فيه وأن لا يرفع صوته عملاً بقول رسول الله ﷺ : « إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان يدخل » .

(مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب ، جـ ١٨، ص ١٦٥، رقم ٢٩٩٥)

ويقول بعد إنتهائه من التثاؤب « استغفر الله العظيم » .

أما عن كراهة رفع الصوت عند التثاؤب فيقول النبى ﷺ : « إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته ، أما التثاؤب فإنما هو من الشيطان ، فليرده ما استطاع ، فإذا قال هاء ضحك منه الشيطان » .

(فتح الباري، كتاب الأدب، باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب، جـ ١٠، ص ٦٢٢، رقم ٦٢٢٣)

وقد جاء الغزالي بكل تلك الآداب السابقة من آداب المجلس وأضاف إليها آداب أخرى بقوله : « فينبغي أن يعود ألا يبصق في مجلسه ، ولا يتمخط ، ولا يتثاءب بحضرة غيره ، ولا يستدبر غيره ، ولا يضع رِجلاً على رجل ، ولا يضع كفه تحت دقنه ، ولا يعمد رأسه بساعده فإن ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣، ص ٧٣) .

والغزالي بما ذكره قد أورد بعض الآداب التي تحافظ على المظهر العام ولا تجرح الذوق ولا تسبب الإحراج للجالسين من أي تصرف قد يحدث ، وهى في مجملها تدل على حسن الأدب وعلى مهارة المؤدب .

ثانياً : آداب التعلم :

١ ـ ما يتعلمه في المدرسة : « تعليم القرآن الكريم » :

يبرز في هذا السن من عمر الطفل دور المدرسة في تعليم الطفل وتربيته التربية الإسلامية الصحيحة ، من خلال ما تقدمه المدرسة من علوم ومواد دراسية ، والتي من خلالها يمكن غرس الفضيلة في نفوس الصبيان ، وتحصينهم ضد الفساد ، كذلك يجب اختيار المعلم والمؤدب فليس كل مؤدب معلماً .

فأول ما يجب على الطفل تعلمه هو القرآن الكريم ، وكل ما هو فرض عين ، مثل أمور الحلال والحرام ، وأحكام العبادات ، ثم يتعلم سيرة الرسول ﷺ وصحابته الأبرار ، لأن هذه هى التي سيسأل عنها الوالدان ، والمربون يوم القيامة إذا قصروا فيها . وهناك علوم يكون تعليمها فرض كفاية كالرياضيات والعلوم ، ولا يجب التهاون في علوم فرض العين على حساب فرض الكفاية دائماً يجب التركيز على علوم فرض العين ، ثم الاهتمام بعلوم الكفاية ، أو الموازنة بينهما ليتحقق تعلم الإثنين معاً .

ويجب البدء بتعليم الطفل القرآن ، وعن طريقه يتم تعليم العلوم القرآنية مثل التفسير والتجويد وغيرها من العلوم التي تساعد على قراءة القرآن ، لأن العلم والعمل لا يفترقان ، والقرآن هو خير علم يفضي إلى العمل الذي هو الزاد في الآخرة ، ثم تعلم السنة وهذان العلمان هما الأساس والمنبع للأعمال المقبولة من الله . (شمس الدين ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٥٥) .

ويتلقى الطفل ما ينفعه من التربية من سور القرآن الكريم التي تبين له آداب السلوك، وحسن المعاشرة داخل الأسرة وخارجها، وحسن الأدب مع الأهل، والأباء، والناس جميعاً، فمن هذه السور مثلاً سورة النور ، والحجرات، والأحزاب، ولقمان ، ثم يعلم الطفل الطهارة ، والصلاة وإقامتها لوقتها (فرج ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٨٩) .

وعن أهمية تعليم القرآن للأطفال وتحفيظه لهم أشار (إبن خلدون، ١٤١٤هـ) : « إن تعليم القرآن الكريم هو أساس التعليم في المناهج الدراسية في مختلف البلاد الإسلامية ، لأنه شعار من شعائر الدين يؤدي إلى تثبيت العقيدة ، ورسوخ الإيمان ، فالتعليم في الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده (جـ ٢، ص ٢٣٨) .

وتعليم القرآن الكريم في الصغر ينمي لدى الطفل اللغة العربية الأصيلة فنجد أن الأعاجم من حفظة كتاب الله أسرع في تعلم اللغة العربية من غير حفظة كتاب الله ، لذلك يجب أن يحرص على تعلم القرآن الكريم في المدرسة ، والمنزل ، والمسجد ، فهو من أشرف الأعمال وأعظمها عند الله ، فجزاء كل حرف يقرأه المسلم له به عشر حسنات ، فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله

ﷺ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

(الترمذي ، أبواب فضائل القرآن، باب ماجاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر ، جـ ٣ ، ص ٩ ، رقم ٢٣٢٧)

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

(البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، جـ ٣، ص ٣٤٦، رقم ٥٠٢٧)

عن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : « المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجه طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مرّ أو خبيث وريحها مرّ » .

(البخاري ، كتاب فضائل القرآن ـ باب إثم من راءى بقراءة القرآن ، جـ ٣، ص ٣٥٢ ، رقم ٥٠٥٩)

وعن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين » .

(مسلم ، صلاة المسافرين ـ فضل من يقوم بالقرآن وتعليمه ، جـ ١، ص ٥٥٩ ، رقم ٨١٧)

كذلك كان السلف الأولون يدفعون أولادهم إلى المؤدب ليتعلموا القرآن أولاً وحتى يتخذوه دستوراً ، ومنهجاً ، وتشريعاً فيه تصلح أخلاق الصغار والكبار .

ويتطابق قول الغزالي مع ما سبق ذكره فيما يجب على الطفل أن يتعلمه في المدرسة فيقول : « يتعلم الطفل القرآن ، وأحاديث الأخيار ، وحكايات الأبرار ، وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ، ويُحْفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ، ويُحفظ من مخالطة الأدباء الذي يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع، فإن ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد » (الغزالي، د . ت، جـ ٣، ص ٧٣).

٢ ـ تعلم بعض الآداب الشرعية :

وتشمل هذه الآداب الشرعية أركان الإسلام الخمس ، وطريقة أداء الطفل لها حسب سنه واستطاعته لها ، فيبدأ بالطهارة ، ثم الصلاة ، ثم الصوم .

فتعويد الأطفال الفعلى على العبادات تبدأ بعد سن التميز حتى يكون من الصعب عليه التخلي عنها إذا شب وكبر ، فيعوّد الطفل على الوضوء وآداب قضاء الحاجة ، ثم يُعوَّدوا على أداء الصلاة وتحبيبهم فيها (درويش ، ١٤١٢ هـ ، ص ٢٣٢) .

فينبغي أولاً أن يعرف الطفل كيف يتطهر وينظف أعضاؤه ويستنجى بالماء ويسمى الأعضاء بأسمائها المعروفة في الشرع دون كنيه (باحارث، ١٤١٢ هـ ، ص ١٢٠) .

ثم يتبع المربي أفضل الطرق وأرقها لتحبيب الصغار في الصلاة منها : « أن نفهم الأطفال أننا نصلي ليحبنا الله وأن المصلين لهم الجنة » (درويش، ١٤١٢ هـ، ص ٢٣٣).

ويكون التدريب على الصلاة بالمشاهدة أولاً ، ثم تبدأ مرحلة التوجيه المباشر بأفعال الصلاة .

فقال ﷺ : « علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعاً واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً وفرقوا بينهم في المضاجع » .

(أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ، جـ ١، ص ٩٧ ، رقم ٤٦٦)

وقال تعالى :

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ
وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (طه : ١٣٢)

أما التدريب على الصيام فيجب اللجوء إلى تعويده عليه نظراً لعدم تحمله الجوع والعطش ، فعن الرُّبيع بنت قعود أنها قالت : « أرسل النبى ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار : من أصبح مفطراً فليتم يومه ومن أصبح صائماً فليصم ، قالت : كنا بعد ذلك نصومه ونصوّم صبياننا الصغار منهم ، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه إياه حتى يكون عند الإفطار » .

(البخاري ، كتاب الصوم ـ باب صوم الصبيان ، جـ ٢ ، ص ٤٨ ، رقم ١٩٦٠)

يقول الغزالي حاثاً على هذه الآداب الشرعية فيقول : « ومهما بلغ سن التميز فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة ، والصلاة ، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان، ويُعلّم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٧٤) .

كما يرى أن التدرج في تعليم الطفل أمور التكليف، بحسب حاجة الطفل إلى أى منها، هى طريقة جيدة لتعليمه أمور دينه، فبدأ بتعليم الطفل أركان الإسلام، وذلك في قوله : « فإذا بلغ الصبي، فأول ما يجب عليه هو تعلم الشهادة، وفهم معناها، وهو قول : لا إله إلا الله محمداً رسول الله، فإذا جاء وقت الصلاة وجب عليه تعلم الطهارة، والصلاة، فإن عاش إلى رمضان وجب عليه تعلم الصوم، فإن كان له مال عند بلوغه وحال عليه الحول، تعلم ما يجب عليه من الزكاة، فإن دخل في أشهر الحج وهو مستطيع وجب عليه تعلم المناسك » (الغزالي ، د . ت ، جـ ١، ص ١٤ ١٥) .

ثالثاً : الآداب الاجتماعية :

للحفاظ على المجتمع، يجب صيانة أفراده خصوصاً الأطفال منهم، وذلك بتحصينهم ضد الآفات الاجتماعية التي تُخل بتوازنه ، والتي من نتائجها إثارة الفزع بين أفراده ، إضافة إلى فقدان الأمان ، وخصوصاً على الضروريات، مثل حفظ النفس، وحفظ المال، فتحصين الأطفال ضد الجرائم، مثل القتل، أو السرقة ، أو فعل المحرمات ، حتى ولو كانت تلك المحرمات من الصغائر فإن ضررها لا محالة كبير على باقى أفراد المجتمع، فمثلاً صفات الغيبة، والنميمة ، والإنتقام ، وفظاظة القول، وسوء الأدب ، وقلة الحياء ، وغيرها من الصفات السيئة تضر بالمجتمع وأفراده، وفي هذا المجال لا ننسى دور المعلم في تحصين أفراد المجتمع وخصوصاً الأطفال منهم ، فهو السلاح الذي به يتحصن الطفل ضد المفسدات ، فالعلم يُنير فكر الإنسان ومتى ما استنار فكره دفعه إلى التصرف المتزن السليم البعيد عن الأهواء ، لذلك فالمتعلم محترم حتى بين خصومه .

والإسلام نهى عن الأخلاق السيئة ، وتوعد فاعلها ، وسماها بالمحظورات دلالة على عظم أثرها ، فقد حرم القرآن الكريم قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق

فقال تعالى :

لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ
تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ
إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ (الأنعام : ١٥١)

وكذلك حرم القرآن السرقة وجعل عقابها قطع اليد فقال تعالى :

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (المائدة : ٣٨)

وتوعد الله سبحانه وتعالى من يغش في الكيل والميزان فقال تعالى :

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم (المطففين : ١ ـ ٣)

كما حذر القرآن من الاختلاس وأكل أموال الناس بالباطل ، فقال تعالى :

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (الأعراف : ٨٥)

وأمر الله الذين آمنوا بعدم الخيانة فقال تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (الأنفال : ٢٧)

وقد أشار الغزالي إلى كل ما ذكر وحث على تحصين الطفل منها حتى ينصلح حاله ، وبصلاح حال الطفل سوف ينصلح حال المجتمع إن شاء الله فيقول :

« ويخوف الصبي من السرقة ، وأكل الحرام ، ومن الخيانة ، والكذب ، والفحش ، وكل ما يغلب على الصبيان » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٧٤) .

رابعاً : آداب التعامل :

١ ـ آداب التعامل مع الوالدين ومن في مقامهما :

فاللوالدين حق عظيم على الإبن رداً للجميل الذي بذلاه في تربيته وهو طفل صغير ، وبسهرهما على راحته، ورعايته، والعناية به ، ولما لاقته والدته في حمله، وولادته، وفي إرضاعه، وحضانته ، فواجب الأبناء نحو الوالدين طاعتهما وعدم نهرهما، أو التضجر منهما، والإحسان إليهما بالقول والعمل، والدعاء لهما، ومساعدتهما في عملهما، والحفاظ على سمعتهما، والتزام الأدب أمامهما، وبرهما بعد موتهما .

والمراد ببر الوالدين هو إكرامهما، والخضوع لهما ، والسير في حاجتهما ، وكسب رضاهما ، ذلك لأنهما أصحاب الفضل علينا بعد الله تعالى (مبيّض ، ١٤١١هـ ، ص ١٥٠) .

وقد أوضح القرآن الكريم ما يجب على الأبناء نحو الوالدين في أكثر من موضع كما في قول الله تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ (الإسراء : ٢٣ ـ ٢٤)

ونجد في هذه الآية أن الإحسان إلى الوالدين جاء في المرتبة الثانية بعد عبادة الله ، وفيها النهى على عدم نهرهما، أو التضجر منهما ولو بكلمة « أفٍ » ،

والإحسان لهما أيضاً كما ورد في هذه الآيات بالقول لهما قولاً كريماً ، في قوله تعالى عن الإحسان لهما : وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ

بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ (العنكبوت : ٨)

عن بن مسعود رضى الله عنه قال :« سألت رسول الله ﷺ ، فقلت : يارسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة لميقاتها ، قلت : ثم ماذا قال : بر الوالدين ، قلت : ثم ماذا يارسول الله ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، ثم سكت عنى رسول الله ﷺ ، ولو استزدته لزادني » .

(الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب أفضل الأعمال ، جـ ٢ ، ص ١٧٥ ، رقم ١٥٤٧)

وقد جاء الوعيد والتحذير من عقوقهما وإغضابهما فقال رسول الله ﷺ : « ألا أحدثكم بأكبر الكبائر ؟ قالوا بلى يارسول الله ، قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقال : وجلس وكان متكئاً ، قال وشهادة الزور ، أو قول الزور ، فمازال رسول الله ﷺ يقولها حتى قلنا : ليته يسكت » .

(الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ماجاء في عقوق الوالدين ، جـ ٢، ص ١٧٦، رقم ١٥٥٠)

ومن حسن الأدب احترام الكبير وطاعته فقد جاء شيخ يريد النبى ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له ، فقال النبى ﷺ : « ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ، ولم يوقر كبيرنا » .

(الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ماجاء في رحمة الصبيان ، جـ ٢ ، ص ١٧٩ ، رقم ١٥٦٥)

ويقول الغزالي : « وينبغي أن يعلم طاعة والديه ، ومعلمه ، ومؤدبه ، ومن هو أكبر منه سناً ، من قريب وأجنبى وأن ينظر إليهم بعين الجلالة ، والتعظيم ، وأن يترك اللعب بين أيديهم » (الغزالي ، د . ت ، جـ ٣ ، ص ٧٣) .

٢ ـ آداب المعاملة :

أما الآداب التي يمكن أن يتعامل الطفل بواسطتها مع من حوله، لما لها من نتائج إيجابية على تربيته فنجدها في قول (ابن القيم ، ١٤١٢ هـ) :

« فيجب أن يجنب الطفل الكذب ، والخيانة أعظم مما يجنبه السم الناقع، فإنه متى سهل له سبيل الكذب، والخيانة، أفسد عليه سعادة الدنيا، والآخرة، وحرمه كل خير، ويجنب الكسل، والبطالة، والدعه، والراحة، بل يأخذه بأضدادها، ولا يريحه إلا بما يجم نفسه، وبدنه للشغل فإن الكسل، والبطالة عواقب سوء، ومغبة ندم، وللجد، والتعب عواقب حميدة، إما في الدنيا، وإما في العقبى، ويجنبه فضول الطعام، والكلام، والمنام، ومخالطة الأنام ، ومضار الشهوات، المتعلقة بالبطن، والفرج، غاية التجنب فإن تمكينه من أسبابها، والفسح له فيها، يفسده فساداً، يعز عليه بعده صلاحه، وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا، والآخرة، بإهماله، وترك تأديبه، وإعانته على شهواته ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه » . (ص ١٤٦) .

وترك الصفات السابقة ، يدل على حسن الخلق، والعمل بها يدل على سوء الخلق ، فقد جاءت آيات ، وأحاديث كثيرة ، في الشريعة الإسلامية تحث على مثل هذه الصفات ، منها ما سبق ذكره . منها ما ورد عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كريم يحب الكرم ، ومعالي الأخلاق ويبغض سَفْسافَها » (إسناده صحيح ، الحاكم ، كتاب الإيمان ، جـ ١ ، ص ١١١ ، رقم ١٥١) .

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبى ﷺ قال : « ثلاث يعمرن الديار ، ويزدن الأعمار ، حُسنُ الجوار ، وصلة الأرحام ، وحسن الخلق » إسناده صحيح .

(أبى الدنيا ، مكارم الأخلاق ، د . ت ، ص ٣٩)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل إذا أنعم على عبد نعمة يجب أن يرى أثر النعمة عليه ، ويكره البؤس والتباؤس ، ويبغض السائل الملحف ، ويحب الحييّ العفيف المتعفف » .

(الألبانى في السلسلة الصحيحة ١٤٠٥ هـ ، جـ ٣ ، ص ٣١٠ ، رقم ١٣٢٠)

وقال ﷺ : « خيركم إسلاماً أحاسنكم أخلاقاً إذا فقهوا » .

(الأدب المفرد ، باب حسن الخلق ، ص ١٢٢ ، رقم ٢١٨)

وقد سمى الغزالي هذه الآداب التعاملية بعلم المعاملة وقسمها إلى قسمين (ما يحمد وما يذم) فيقول :

« أما ما يحمد منها كالصبر ، والشكر ، والخوف ، والرجاء ، والرضا ، والزهد، والتقوى، والقناعة ، والسخاء، والإحسان، وحسن الظن، وحسن الخلق، وحسن المعاشرة، والصدق، والإخلاص، أما ما يذم فخوف الفقر ، وسخط المقدور، والغل، والحقد ، والحسد ، والغش ، وطلب العلو ، وحب الثناء ، وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع ، والكبر، والرياء، والغضب، والأنفة، والعداوة ، والبغضاء ، والطمع، والبخل، والبطر، والبذخ وتعظيم الأغنياء ، والاستهانة بالفقراء ، والفخر، والخيلاء ، والمباهاة ، والاستكبار على الحق، والخوض فيما لا يعني، وحب كثرة الكلام ، والتزين للخلْق، والمداهنة، والعجب، والاشتغال بعيوب الناس عن عيوب النفس، وخروج الخشية من القلب، وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل، وضعف الإنتصار للحق، والأمن من مكر الله في سلب ما أعطى، والمكر، والمخادعة ، والخيانة ، وطول الأمل ، والقسوة ، والفظاظة ، والفرح بالدنيا والأسف على فواتها ، والجفاء ، والطيش ، والعجلة ، وقلة الحياء ، وقلة الرحمة » . (الغزالي ، د . ت ، جـ ١ ، ص ٢٠ ، ٢١) .

الفصل الخامس

التصور المقترح للتربية الخلقية في المدرسة الإبتدائية في ضوء آراء أبي حامد الغزالي

أولاً : التعريف بالمدرسة الإبتدائية .

* مفهوم المدرسة الإبتدائية بشكل عام .

ثانياً : أهداف التعليم الإبتدائي بشكل عام .

ثالثاً : مكانة التعليم الإبتدائي ضمن السلم التعليمي العام .

رابعاً : التعريف بالمدرسة الإبتدائية في المملكة العربية السعودية .

* مفهوم المدرسة الإبتدائية .

خامساً : أهداف التعليم الإبتدائي في المملكة العربية السعودية .

سادساً : مكانة التربية الخلقية ضمن أهداف التعليم الإبتدائي .

سابعاً : مطالب النمو لطفل المرحلة الإبتدائية من (٦ ـ ١٢) سنة (النمو الجسمي ـ النمو العقلي ـ النمو الاجتماعي ـ النمو العاطفي ـ النمو الروحي) .

خصائص النمو الاجتماعي لطفل المرحلة الإبتدائية .

خصائص النمو العقلي لطفل المرحلة الإبتدائية .

خصائص النمو العاطفي لطفل المرحلة الإبتدائية .

ثامنـاً : النمو الأخلاقي كمطلب هام من مطالب النمو .

* التربية الخلقية وطرق تضمينها في المدرسة الإبتدائية :

١ ـ الطريقة المباشرة لتضمين التربية الخلقية في المدرسة الإبتدائية .

٢ ـ الطريقة الغير مباشرة لتضمين التربية الخلقية المدرسة الإبتدائية .

أ ـ بث التربية الخلقية في جميع المواد الدراسية .

ب ـ بث التربية الخلقية عن طريق بعض المؤسسات التربوية التي اتخذها الغزالي لإكساب الطفل التربية الخلقية .

ـ تربيـة الأطفال خلـقياً عـن طريق بعض الأسـاليب للتربـية الخلقية عند الغزالي .

وتشـمل : (القدوة ـ مـراقبة الأطفـال وصيـانتهم من قـرناء السوء ـ اللعب) .

ـ تربيـة الأطفـال خلقيـاً عن طريق بعض المـبادىء التـربوية لإكساب الطفل التربية الخلقية .

وتشمل : (الفروق الفردية ـ العقوبة ـ بعض المبادىء والقيم والمعايير الأخلاقية) .

ـ تربية الأطفـال خلقياً عن طريق بعض المؤسسـات التربوية ذات العلاقة بالطفل .

وتشمل : (الأسرة : الأم ، الوالدين ـ البيئة) .

أولاً : التعريف بالمدرسة الإبتدائية :

* مفهوم المدرسة الإبتدائية بشكل عام :

عند ذكر إسم المدرسة الإبتدائية ينصرف الذهن مباشرة إلى تلك المدرسة التي تقبل الأطفال من سن الخامسة أو السادسة، إلى سن العاشرة أو الثانية عشر، وتشمل مرحلة الطفولة الوسطي من (٦ ـ ١٠) سنوات ، ومرحلة الطفولة المتأخرة من (١٠ ـ ١٣) سنة (عبود وآخرون ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٥٤) .

وقد يعنى بالمدرسة الإبتدائية: ذلك النوع من التعليم النظامي الذي يأخذ مكانه في أول السلم التعليمي، والذي يلتحق به الصغار في طفولتهم المتوسطة، إلى ما حول سن المراهقة، بقصد تحصيل بعض المعارف والمهارات الأساسية (عبيد ، ١٣٩٦ هـ ، ص ١٣٧) .

أو هي : تلك المدرسة التي تعالج التلميذ من سن (٦ ـ ١٢) سنة ، أى الست سنوات الأولى من حياته التعليمية المدرسية ، وللمدرسة الإبتدائية حد معين من النضج، يحدد نوع الخبرات التي تعطى له لينمو إلى درجة معينة ، وفي جوانب معينة (رضوان ، ١٣٩٣ هـ ، ص ٩) .

وقد تسمى المدرسة الإبتدائية (الإلزامية) كما هو الحال في فرنسا ، أما في أمريكا يطلق عليها (المدرسة الأولية) ، وقد يشمل منهج المدرسة الإبتدائية مواداً كالتربية الخلقية ، والصحية ، والرياضية ، والفنية ، ومشاهد من الطبيعة ، وقد يشمل قواعد السلوك ، وطريقة إعداد حفلات الشاي، والمشاركة في الإحتفالات والأعياد الوطنية كما هو الحال في اليابان (شفشق وآخرون ، ١٣٩٩ هـ ، ص ١٦٣ ـ ١٨٨) .

وقد مرت المدرسة الإبتدائية في تطورها بعدة مراحل ، وواجهت عدة إنتقادات حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن ، وهذا التغيير أو التطور أدى إلى زيادة الاهتمام بمجهودات التلاميذ ، وتخصيص وقت أقل للتسميع ، وحلت المناقشات الجماعية ، والأعمال التعاونية محل الفردية ، وأمكن مواجهة الفروق الفردية بأساليب أفضل ، كتشجيع التلاميذ حسب قدراتهم ، وإلى طرق جديدة كإعطاء تعيينات ، وواجبات ، تختلف باختلاف التلاميذ ، وتقديم العون للتلاميذ حسب

حاجتهم ، وإقتراح أنواع إضافية من النشاط ، لذوى القدرات والاهتمامات المختلفة ، إضافة إلى استخدام الوسائل التعليمية الحديثة كالمعامل ، والنماذج ، والصور ، والخرائط ، والتلفزيون (شفشق وآخرون ، ١٣٩٩ هـ ، ص ٤٤ ـ ٤٥) .

ثانياً : أهداف التعليم الإبتدائي بشكل عام :

تهدف العملية التربوية في المدرسة الإبتدائية ، إلى إعداد مواقف تعليمية لأنماط وجوانب النمو التي يحققها التعليم ، عن طريق الخبرات التعليمية في المدرسة، والتي تساعد على نمو المهارات والعادات الاجتماعية، والجسمية، والعقلية، والخلقية ، وتُعين على تكوين القيم ، والمثل العليا، والاتجاهات ، والاهتمامات ، وأنواع من التذوق الفني ، والجمالي (شفشق وآخرون ، ١٣٩٩ هـ ، ص ٤٥ ـ ٤٦) .

وتحقق المدرسة الإبتدائية بشكل عام الأهداف التالية :

١ ـ إكساب التلميذ القدرة على فهم العلاقات الاجتماعية وممارستها .

٢ ـ مساعدة التلميذ على إكتشاف الصالح من استعداداته ، وميوله ، وقدراته ، وتنميتها .

٣ ـ تحصيل المعلومات وأدوات المعرفة وهي القراءة ، والكتابة ، والحساب وغيرها .

٤ ـ تكوين جسم سليم بالتعود على العادات الصحيحة ، لرفع المستوى الصحي للجماعة (رضوان ، ١٣٩٣ هـ ، ص ٢١ ـ ٢٣) .

وأضاف (بدران ، ١٤١٣ هـ) هدفاً آخر وهو :

تنمية شخصية التلميذ ، وإكسابه القيم والمعايير التي أتفقت الآراء على أصالتها وأهميتها (ص ٢٧٩) .

هذا عن أهداف التعليم الإبتدائي بشكل عام ، أما عن أهداف مرحلة التعليم الإبتدائي في العالم العربي فهي :

١ ـ معاونة الطفل على النمو نمواً متكاملاً من نواحيه الجسمية ، والإدراكية ، والاجتماعية ، والوجدانية ، والروحية .

٢ ـ مساعدة الطفل على الإسهام في خدمة البيئة .

٣ ـ إعداد الطفل للحياة العملية .

٤ ـ تنشئة الطفل على الإعتزاز بوطنه وتراثه العربي ، والإسلامي .

٥ ـ تربية الطفل للحياة في مجتمع إسلامي سليم (زيدان ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٨) .

ثالثاً : مكانة التعليم الإبتدائي ضمن السلم التعليمي العام :

التعليم الإبتدائي هو المرحلة الأولى من مراحل تعليم التلاميذ، والتي يتم بموجبها إعداد التلميذ إعداداً صالحاً متكاملاً في النواحي العلمية ، والعملية ، والجسمية ، والعقلية ، والخُلقية ، والاجتماعية ، بحيث يكون ذلك عوناً له على التمسك بدينه ، ومواجهة متطلبات الحياة .

وتنبع مكانة التعليم الإبتدائي في كونها البداية الحقيقية لعملية التنمية الفكرية لمدارك الأطفال ، وإكسابهم المعرفة، وتنمية المهارات، فالطفل من خلال هذه المرحلة تتفتح طاقاتهم بالتدريج ، ويوعون على ما يحيط بهم من خلال دروسه، فيطلون على الحياة من خلال المجتمع ليعوا قِيَمهُ ، ومعاييره ، وتبدأ خبراتهم ، ومهاراتهم في التراكم ، وقدراتهم في الوضوح ، والتمييز ، والإنطلاق (شفشق وآخرون، ١٣٩٩ هـ ، ص ٢١) .

وعلى هذا فالمرحلة الإبتدائية هي القاعدة التي يرتكز عليها إعداد الناشئة للمراحل التالية من حياتهم الدراسية ، أو العملية ، وهى مرحلة عامة تشمل أبناء الأمة جميعاً ، تزودهم بالأساسيات من العقيدة الصحيحة ، والإتجاهات السليمة ، والخبرات ، والمهارات ، والمعلومات (فرج ، ١٤١٠ هـ ، ص ٨٤) .

ومرحلة التعليم الإبتدائي هى بداية خروج الطفل من الحيز الضيق الذي كان يعيش فيه إلى الأفق الواسع للجماعة، حيث تتكون لديه إتجاهات نحو الجماعات التي ينخرط في سلكها كالرفاق، والمدرسة، والجيران وغيرهم(عبود وآخرون، ١٤٠٢ هـ، ص ٥١).

ووضع المدرسة الإبتدائية هذا في بداية السلم التعليمي يجعلها من الأهمية بمكانة وذلك للأسباب التالية :

١ ـ في المدرسة الإبتدائية يكتسب التلميذ القدرات ، والمهارات ، والعادات ، والمعلومات ، والاتجاهات الأساسية اللازمة له كإنسان .

٢ ـ في المدرسة الإبتدائية يكتسب التلميذ وسائل تحصيل الخبرة ، والمعرفة من قراءة ، وكتابة ، وحساب .

٣ ـ في المدرسة الإبتدائية يحصّل التلميذ أولويات المعرفة وأساسها ، وهو قدر ليس بالقليل مما يكون أساسياً وضرورياً للتعليم في مراحل التعليم التي تلي المدرسة الإبتدائية .

٤ ـ المدرسة الإبتدائية هى مدرسة كل مواطن ، على اعتبار أن إلزامية التعليم بها أصبح من المسلمات ، على حين أن المراحل التالية لها تقل الأعداد الملحقة بها بالتدريج كلما صعدنا بالسلم التعليمي خصوصاً في البلاد النامية (رضوان ، ١٣٩٣ هـ ، ص ١١) .

وعلى هذا فالتعليم في المدرسة الإبتدائية هو الأساس ، فيجب أن يكون الأساس متيناً لأنه من مستلزمات أى بناء ، حتى البناء البشري يحتاج إلى الأساس المتين .

رابعاً : التعريف بالمدرسة الإبتدائية في المملكة العربية السعودية:

* مفهوم المدرسة الإبتدائية :

يقصد بالمدرسة الإبتدائية في المصطلح التربوي المعاصر تلك المدرسة التي تعالج التلميذ بالتربية من سن (٦ ـ ١٢) سنة كما هو الحال في معظم دول العالم (بامشموش ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٢١) .

فمن التعريف السابق يتضح أنه لا فرق بين مفهوم المدرسة الإبتدائية في المملكة وبين مفهومها في أي مكان آخر ، كما سبق إيضاحه حيث يتطابق التعريفان في أغلب مفرداتها ، ويتضح ذلك أيضاً من التعريف التالى :

المدرسة الإبتدائية هى القاعدة التي يرتكز عليها إعداد الناشئين للمراحل التالية من حياتهم ، وهي عامة تشمل أبناء الأمة جميعاً ، وتزودهم بالأساسيات من العقيدة الصحيحة ، والاتجاهات السليمة ، والخبرات ، والمعلومات ، والمهارات (زيدان ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٧) .

ومن التعريف السابق نلاحظ إختلافاً جوهرياً هو أن التعليم الإبتدائي في المملكة يركز على الإلتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ، نظراً لتمسك المملكة بالإسلام شرعة ومنهاجاً في شتى نواحى الحياة .

خامساً : أهداف التعليم الإبتدائي في المملكة العربية السعودية :

حددت وثيقة التعليم الصادرة من اللجنة العليا لسياسة التعليم أهداف المرحلة الإبتدائية في المملكة العربية السعودية على النحو التالي :

« ١ ـ تعهد العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفس الطفل ، ورعايته بتربية إسلامية متكاملة في خلقه ، وجسمه ، وعقله ، ولغته ، وإنتمائه إلى أمة الإسلام .

٢ ـ تدريبه على إقامة الصلاة ، وأخذه بآداب السلوك ، والفضائل .

٣ ـ تنمية المهارات الأساسية المختلفة وخاصة المهارة اللغوية ، والمهارة العددية، والمهارات الحركية .

٤ ـ تزويده بالقدر المناسب من المعلومات في مختلف الموضوعات .

٥ ـ تعريفه بنعم الله عليه في نفسه ، وفي بيئته الاجتماعية ، والجغرافية ليحسن استخدام النعم ، وينفع نفسه ، وبيئته .

٦ ـ تربية ذوقه البديعي، وتعهد نشاطه الإبتكاري، وتنمية تقدير العمل اليدوي لديه.

٧ ـ تنمية وعيه ليدرك ما عليه من واجبات ، وماله من حقوق في حدود سنّه ، وخصائص المرحلة التي يمر بها ، وغرس حب وطنه ، والإخلاص لولاة أمره .

٨ ـ توليد الرغبة لديه في الازدياد من العلم النافع ، والعمل الصالح ، وتدريبه على الاستفادة من أوقات الفراغ .

٩ ـ إعداد الطالب لما يلي هذه المرحلة من مراحل حياته » (وثيقة سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية ، ط ٢ ، ١٣٦٤ هـ ، ص ١٨ ـ ١٩) .

سادساً : مكانة التربية الخلقية ضمن أهداف التعليم الإبتدائي :

يتضح من عرض أهداف التعليم الإبتدائي في المملكة أهمية ومكانة الأهداف الخلقية ، تلك التي تستهدف : تحسين خُلق التلميذ ، وتكامل الجانب الخُلقي مع

باقي جوانب نموه المختلفة لتكوين شخصيته ، وأن يأخذ التلميذ بآداب السلوك والفضائل التي تعينه في تعامله الدراسي، وفي حياته العامة. وفي معرفة أخلاقيات التعامل مع الغير ، أو ما يجب فعله، وما يجب تركه في تعامله مع غيره ومع نفسه ، والتعرف على العلاقات الأسرية كالطاعة، والإحترام ، والبر وصلة الرحم وغيرها ... وأن يتعود التلميذ على أنماط من السلوك الحسن كأداء الواجب، وتحمل المسئولية ، والتعاون ، وإحترام آراء الغير وملكية الآخرين ... وأن يتعود التلميذ على أداء الشعائر الدينية لما لها من أثر في ترسيخ القيم الأخلاقية ، فكما تعُوده المدرسة على أداء هذه الشعائر الدينية، تحثه أيضاً على تطبيق القيم الخلقية وجدواها في تعامل الفرد مع الآخرين كالصدق ، والأمانة ، وأداء الحقوق، وحب الخير ، وفعله ، والإحسان ، وبذل المعونة للمحتاج وغيرها (شفشق وآخرون، ١٣٩٩ هـ ، ص ٤٨) .

سابعاً : مطالب نمو الطفل في المرحلة الإبتدائية من (٦ ـ ١٢) سنة :

طبيعة الطفل بالمرحلة الإبتدائية :

تتميز هذه المرحلة بأنها فترة نمو سريع في الطول والوزن ، ونتيجة لذلك يصبح الطفل ضعيف المقاومة للأمراض ، وبأنها مرحلة يحدث فيها ضبط لحركات الطفل مما يزداد معه نشاطه وحركته ، وتقوى عضلاته ، ويصبح أقدر على ضبط الأعمال التي تحتاج إلى دقة، كالرسم والأشغال اليدوية وغيرها . (باشموش ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٤٠ ، ٤١) .

وتتعدد جوانب نمو التلميذ في المرحلة الإبتدائية ولتلك الجوانب مطالب تتعدد نذكر منها :

١ ـ النمو الجسمي :

وتتحقق تلك المطالب عن طريق إتاحة المدرسة الإبتدائية كل الظروف التي تعين على إنطلاق النمو الجسمي في إتجاه صحي سليم، بالإضافة إلى قيامها بإمداد التلاميذ ببعض المعلومات الصحية والعمل على تكوين بعض العادات الصحية . (عبيد ، ١٣٩٦ هـ ، ص ١٤٣)

فمن ذلك الإلمام بقواعد الصحة العامة ، وحقائق التغذية ، ووسائل الوقاية من الأمراض ، وطرق المحافظة على الصحة العامة ، وما يتصل بها من نظافة ، وقوة ، ونشاط ، ومن ذلك تكوين العادات الصحيحة في النوم ، والأكل ، والرياضة ، والعمل ، واللعب (رضوان ، ١٣٩٣ هـ ، ص ١٧) .

والمدرسة الإبتدائية مسئولة عن صحة تلاميذها فيتعلم الطفل كيف يعتني بعينيه ، وأذنيه ، وأسنانه ، وواجباته الغذائية ، وصحته العامة .

٢ ـ النمو العقلي :

ويهدف النشاط العقلى في هذه المرحلة إلى تكوين صورة ذهنية للأشياء ، وتنمية الرموز اللغوية ، بالإضافة إلى القيام بعمليات حسابية من عد، وحصر وتمييز ، وتصحيح لتصوراته عن الواقع . كما يستهدف تنظيم التصورات ، وتكوين المفاهيم المتعلقة بالبيئة، بفضل تكوين سلاسل من التراكيب المعرفية والتجميعية . (بامشموش ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٤٦ ـ ٤٧)

كذلك من وسائل النمو العقلي التحليل ، والفهم ، والنقد واستحضار الأسس العلمية لما يرى ، وهذه عادة التفكير العلمي المنظم القائم على حقائق الموقف ونتائج التصرف فيها لا على التقليد والمحاكاة (رضوان ، ١٣٩٣ هـ ، ص ١٨) .

ويتحقق هذا المطلب عن طريق استعمال الطرق التربوية الحديثة مثل طريق المشاهدة ، والفحص ، والتجريب في تربية الإتجاه العلمي لدى التلاميذ ، بدل التسميع وترديد ما سمع ، فالطفل الذي يشاهد ويفحص ويجرب حين يواجه مشكلة يرسم طريق حلها ويقوّم ما أنجزه (عبيد ، ١٣٩٦ هـ ، ص ٤٦) .

٣ ـ النمو الاجتماعي :

يظهر لدى طفل المرحلة الإبتدائية الميل الاجتماعي ، وينتبه إلى رأى الناس في تصرفاته من مدح أو ذم ، وتبدأ الاتجاهات الاجتماعية تظهر كالزعامة ، أو التبعية، أو الميل للمساعدة ، أو الميل للخنوع ، وهو في هذه المرحلة شديد الحرص على المبادىء الاجتماعية ، أو الأخلاقية ، لذلك فهى تمثل فرصة للمربين لغرس المبادىء الصالحة لتربية النشىء (بامشموش، ١٤٠٠ هـ ، ص ٤٥) .

ويتحقق هذا المطلب بمساعدة المدرسة للتلميذ على معرفة النظام الاجتماعي العام من قيم واتجاهات وعادات وتقاليد حتى تستطيع أن تنمى فيه روح الولاء والإحساس بالإنتماء للمجتمع ثم لوطنه (عبيد ، ١٣٩٦ ، ص ١٤٧) .

أما من الناحية الشخصية فتكوين صفة القيادة والقدرة على توجيه الغير ممن هم دونه، وضمان تعاونهم الصادق والإنقياد لمن هم أعلى منه ، واحترام آراء الغير، وحُسن المعاملة ، وتحمل المسئولية ، ومشاركة التلميذ في حياة الأسرة المدرسية مشاركة قائمة على احترامه كفرد له حقوق وعليه واجبات (رضوان، ١٣٩٣ هـ ، ص ١٩).

ثم يبدأ في تعلم الدور الاجتماعي الذكرى والأنثوي المناسب له لمسايرة رفاق السن طلباً للقبول الاجتماعي ، إضافة إلى تلقيه قواعد السلوك الحسن وتنمية الضمير والأخلاقيات والقيم (منصور ، ١٤١٠ هـ ، ص ٤٢ ، ٤٣) .

٤ ـ النمو العاطفي :

لا يتم النمو العاطفي لطفل المرحلة الإبتدائية بتلقينه ما يجب أن يحب وما يجب أن يكره ، إنما يكون بتكوين الصفات والاتجاهات ، ويتحقق الإتزان العاطفي يتحقق بشعور التلميذ بالأمن في حياته المدرسية ، نتيجة عطف السلطات المدرسية عليه ، ومنح التلميذ حرية الرأى وتحريره من الكبت والقمع ، لذلك فالنمو العاطفي هو صدى لمعاملة الجماعة للفرد (رضوان ، ١٣٩٣ هـ ، ص ١٩) .

ونتيجة لما يلقاه من معاملة الجماعة فإنه يبدأ في تحرير نفسه من الإلتصاق بوالديه بالتدريج ويصبح قادراً على أن يصنع خططه بنفسه ويختار أنشطته وأصدقائه (منصور ، ١٤١٠ هـ ، ص ٤٣) .

قد يعانى الطفل صعوبة نفسية بسبب إنتقاله من بيئة تجمع الأب والأم والأخوة ويشعر فيها بالعطف والحنان إلى بيئة المدرسة الغير مألوفة ، لذلك يحتاج إلى مزيد من التشجيع والحنان من مدرسيه .

٥ ـ النمو الروحي :

ويتمثل الجانب الروحي في إبراز القيم الدينية ، وفي تنظيم التعامل مع الغير مع وضوح الأدلة والتعليلات التي تدعم هذه المبادىء ، والقيم ، بالإضافة إلى تربية

الأطفال على التسامح الديني . ويعد الدين مصدر من مصادر إشتقاق القيم الخلقية والاجتماعية (عبيد ، ١٣٩٦ هـ ، ص ١٤٨) .

ومن ناحية أخرى يظهر النمو الروحي لدى التلميذ عندما يميز بين ما هو خير، وما هو شر، ومن مظاهر هذا النمو الشعور بالرضا عن الحياة (رضوان، ١٣٩٣ هـ ، ص ٢٠) .

ثامناً : النمو الأخلاقي كمطلب هام من مطالب النمو :

تتميز هذه المرحلة من حياة الطفل بأنها أرض خصبة يمكن فيها غرس المبادىء ، والقيم الأخلاقية المطلوبة والتي عن طريقها يمكن إكساب التلميذ السلوكيات الحسنة ، وإبعاده عن الرذائل ، ولسوف يستمر هذا معه إلى نهاية عمره بإرداة الله تعالى ما لم يكن هناك مؤثر قوى ، فحتى لو جنح الطفل نحو السلوك السيء فإنه غالباً سيعود إلى سابق عهده ، نظراً لأن أساسه كان النشأة على الأخلاق الحسنة ، فنمو الأخلاق لا يتحقق منفرداً ، إنما يقرن بأحد جوانب النمو مثل النمو النفسي، أو العاطفي، أو النمو الاجتماعي لطفل المرحلة الإبتدائية ، فهذه الجوانب هى التي تحفز الجانب الأخلاقي وتهيأ له الفرص حتى يكون جاهزاً لغرس الأخلاق المرغوبة والنمو الأخلاقي بشكل طبيعي . والطفل في هذه المرحلة من حياته حريص على الإلتزام بالمبادىء ، والقيم الاجتماعية ، والأخلاقية حرصاً منه على حسن سلوكه مع باقى الرفاق حتى يجد القبول منهم ، كذلك نجده بدأ يعي النظام الاجتماعي العام من عادات ، وتقاليد ، وعلاقات أسرية، مثل إحترام الوالدين ، وطاعتهما ، واحترام الكبار من إخوة ، ومدرسين وغيرهم ، لذلك فهذه السن تمثل الفرصة الجيدة للمربين لغرس المبادىء والقيم المقبولة والسلوكيات الحسنة لتربية النشء .

التربية الخلقية وطرق تضمينها في المدرسة الإبتدائية :

تسعى المدرسة الإبتدائية إلى تأمين نمو سليم للطفل يؤهله للمراحل الدراسية التالية ، فهي مسئولة عن إعداد النفوس ، والعقول إعداداً سليماً لتدعيم كثير من القيم ، أو لتثبيتها لدى هؤلاء الأطفال ، فهناك إرتباط وثيق بين السلوك وبين

إعداد الطفل من جميع النواحي ، ويخطىء من يظن أن رسالة المدرسة تقتصر على الناحية النظرية فحسب ، بل تتعداها لتشمل الاهتمام بالأخلاق الإسلامية منهجاً وتطبيقاً فإذا كانت هذه هى رسالة المدرسة فإن الواقع يخالف ذلك ، فأغلب المناهج العربية تفتقد إلى الدراسات الأخلاقية بصفة عامة، إذ تتسم التربية العربية المعاصرة بأنها لا تكسب التلاميذ تربية أخلاقية معقولة، وأشار إلى ذلك (البيرزات ، د . ت) بأن كثيراً من القيم السلبية التي تسيطر على مجتمعنا ، وتبعده عن القيم الإيجابية نتيجة لما أسقطته عليه التربية العربية المعاصرة من القيم السلبية كالفردية، وحب الذات، والاستعلاء على الآخرين، والاذدواجية في الشخصية ، والسلوكيات السيئة وغيرها من القيم التي لا صلة لها بتراثنا وأخلاقنا (ص ١٤) .

ويتم تضمين التربية الخلقية في المدرسة الإبتدائية بعدة طرق منها : الطريقة المباشرة وهى تشمل تدريس التربية الخلقية كمادة مستقلة كسائر المواد الأخرى . والطريقة غير مباشرة : والتي تشمل بث التربية الخلقية في جميع المواد الدراسية أو عن طريق بعض الأساليب والمبادىء للتربية الخلقية .

١ ـ الطريقة المباشرة لتضمين التربية الخلقية في المدرسة الإبتدائية :

ويقصد بها « تدريس التربية الخلقية كمادة مستقلة » .

فالملاحظ على المناهج العربية أنها تحشو أذهان أبنائنا ببعض المعلومات غير مفيدة للتلميذ ، بينما أبناؤنا يحتاجون إلى تعلم الأخلاق والتي يترتب على ضياعها معظم الشرور في الحاضر والمستقبل . لذلك فاستقامة البرنامج التربوي وفاعليته وتأثيره في سلوك الناشئة كما يراها (البيرزات ، د . ت) يعتمد إعتماداً كبيراً على القيم الأخلاقية، وذلك أن عملية التربية نفسها تعتبر عملية أخلاقية مادام هدفها الإرتقاء بخبرة الإنسان إلى الأفضل، وكذلك فإن أخلاق الأمانة والإعتدال، والعدالة، والصحة ، والنظافة ، إنما هي إتجاهات نُكسبها للناشئين عن طريق التربية ، وهنا لا بد لنا من الأساس الأخلاقي للعملية التربوية (ص ١٥) .

وقد وُجد في بعض الدول أن الأخلاقيات تدرس باعتبارها عادات وتقاليد، وأعراف سائدة في المجتمع، وهى تتغير بحسب الزمان والمكان، وأنها معرضة للنقد، وأنها تقاليد وأعراف اجتماعية لا تحمل في ذاتها قيمة ثابتة عكس القوانين العلمية، لذلك نجدها تدرس من زوايا فلسفية مختلفة (يالجن ، ١٤١٣ هـ ، ص ٢) .

ونتيجة لما سبق ذكره تبدو الحيرة في نفوس التلاميذ عن وجود القيم الأخلاقية ، وهل هى قيم ثابتة أم أنها مجرد آراء متضاربة ، وهذه الحيرة قد تقتل روح التمسك بها بدلاً من الحث عليها .

نظراً لأهمية التربية الخلقية في ميدان التربية والتعليم عامة هناك إتجاه من المربين إلى جعل التربية الخلقية مادة قائمة بذاتها تدرس مثل المواد الأخرى في المدرسة الإبتدائية ، وهى ما يطلق عليه بالطرق أو الوسائل المباشرة في تعليم التربية الخلقية وفي بث الأخلاق إلى نفوس الأطفال ، ولكن الكثير من المربين لا يرجحون فكرة تعليم التربية الخلقية مباشرة عن طريق مواد قائمة بذاتها للأسباب التالية التي ذكرها (يالجن ، ١٣٩٧ هـ) وهي :

إن الوسائل المباشرة تعتمد على التلقين ، ولا تساعد الطفل على فهم السلوك الأخلاقي ، وإن القيم الأخلاقية التي تعتمد على مجرد ألفاظ تبث في النفوس قد تصبح عديمة القيمة إذا انفصلت عن الخبرة ، كما أن مجرد العلم بالأخلاق الحسنة لا يستدعى تكوين أخلاق طيبة لأنها سوف تبقى دون تفسير في أذهانهم ، إضافة إلى أنها تؤثر على العقل ولا تؤثر على الوجدان ، كما أنها تعلم الأخلاق للنشىء قبل الأوان دون إتاحة الظروف لفهم معاني وقيم هذه الأخلاقيات (ص ٥١٤) .

وهذه الطريقة المباشرة لم يتطرق إليها الغزالي ولم يذكرها في كتابه لأن الغزالي إنما ركز على بث هذه الأخلاقيات عن طريق التطبيق العملي ومدى تأثيرها على الطفل .

وعن جدوى تدريس التربية الخلقية كمادة دراسية مستقلة ، يتضح مما سبق أن بعض المربين لا يحبذون هذه الطريقة لمساوئها السابقة ، ولكن وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية ، قد استحدثت في الفصل الدراسي الأول عام ١٤١٦ هـ مادة دراسية جديدة . تدرس للصف الأول الإبتدائي فقط ، تسمى [السلوك والتهذيب] ، وتشمل على إختيارات تقويمية كسائر المواد الأخرى ، وتهدف هذه المادة إلى تعريف التلميذ بسيرة الرسول ﷺ ، وخصاله، وصفاته، وسيرة صحابته الأجلاء ، وبعض الآداب الإسلامية التي يجب على الطفل التعود عليها مثل آداب القرآن الكريم، والتعرف على حق الوالدين، وحق المعلم وغيرهم ... وكيفية الصلاة ، ثم التحية وردها ، وهناك بعض الآداب العامة التي يجب على الطفل تعلمها حتى يسْهل عليه تطبيقها .

وهذه لا شك فكرة جيدة ، خاصة بالنسبة للصف الأول الإبتدائي ، لما تمثله هذه الفترة في حياة الطفل من إمكانية غرس بعض القيم والسلوكيات الإسلامية بسهولة، حتى ولو كانت نظرية تمهيداً لتثبيتها بالتطبيق العملي عليه أو على زملائه، ولما يشمله هذا المنهج من مفردات مفيدة للطفل .

٢ ـ الطريقة غير مباشرة لتضمين التربية الخلقية في المدرسة الإبتدائية :

الطريقة غير مباشرة هى « التربية التي تتم عن طريق الخبرة ، وفي المواقف الاجتماعية ، بغرس الشعور بالمسئولية ، والأمانة ، والصدق ، وغيرها من الصفات الخلقية » (يالجن ، ١٣٩٧ هـ ، ص ٥١٣) .

ويقصد بالخبرة تكرار التطبيق العملي لهذه الصفات والسلوكيات حتى يكتسبها الطفل ويتعود عليها، والخبرة تجعل فعل هذه الصفات دون جهد أو تكلف.

وتنقسم الطريقة غير مباشرة إلى قسمين هما :

أولاً : بث التربية الخلقية في جميع المواد الدراسية :

يجب أن لا نظن أن تربية الخلق وتهذيبه عملية منفصلة عن تعليم المواد الدراسية التي يدرسها الطفل ، بل هى مرتبطة بها ، ومكملة لها ، حيث أن كل

نشاط يقوم به التلميذ (عقلى أو بدني) ينشأ عن إتجاه وميول نفسية لدى التلميذ ، فإرضاء لهذه الميول يُقْبل التلميذ على هذا العمل ، أما إذا كان مخالفاً لميوله ورغباته فإنه ينفر منه ، فدلل (القباني ، ١٩٥٨ م) على ذلك بأن التلميذ قد يُحصّل في أي درس بعض الحقائق وهو مجرد آلة مستقبلة ، وقد يُحصّل العلم وهو يراه مشبعاً لميوله فيقبل عليه ويشعر بقيمته ويجد لذة في تحصيله ، وقد ينمي فيه روح البحث والتفكير والإبتكار . (ص ٣١) .

فالتلميذ عندما يدرس مادة ما تكون محببة إليه ومحققة لبعض رغباته فهو يكون مستعداً لتقبل أى شيء ضمن هذه المادة ، لذلك وجب مزج القيم الخلقية الحسنة المراد غرسها في نفس الطفل أو التي يُراد تعديلها ، ضمن مفردات هذه المادة أو فعالياتها ، فإنها ستكون ذات أثر إيجابي ، حتى لو كان قد رفض الفكرة سابقاً . فمادة التربية الرياضية مثلاً هى مادة محببة لدى الغالبية من التلاميذ ، فعن طريق مفردات هذه المادة يمكن غرس بعض الآداب العامة ، والقيم الخلقية في نفوس الناشئة ثم مطالبتهم بالتطبيق لها ، فعند أداء تمرين ما فإنه مثلاً يتعلم منه النظام وحب العمل والترتيب ، فيجب أن يرى أثر ذلك على سلوكه طول اليوم الدراسي ، ومدى تطبيقه في الطابور الصباحي ، أو في المقصف المدرسي ، أو عند الإنصراف في نهاية اليوم الدراسي ، ومادة التاريخ وما فيها من قصص وعبر من قصص العرب ثم قصص السيرة النبوية وسير الصحابة ، واستخراج ما فيها من عبر ، ودروس تربوية وأخلاقية، عن طريق سؤال التلاميذ عن ما استفادوه من هذه القصص ، وذكر (جون دوى ، د . ت) أن إهتمام الطفل بمادة التاريخ من زاوية القصص والسير فقط ، غير أنه إن لم يعالج البطل من حيث علاقته بالجماعة التي من ورائها يُخْلص للجماعة ويوجهها ، فثمة خطر من أن التاريخ سيرتد إلى مجرد حكاية وأن تعليم الأخلاق سيرتد إلى مجرد رسم دروس معينة من حياة بعض الشخصيات . (ص ٤٥) .

وتساعد بعض المواد الدراسية في حل بعض مشاكل الأطفال وتعلمه بعض القيم المناسبة لسنه، منها كيفية التعامل مع الغير، وغير ذلك، ومن هذه المواد مواد التربية الإسلامية، فيجب تنشئة الطفل على تعاليم الإسلام وما يدخل ضمنها من فروض دينية ، وقيم أخلاقية ، وربطها بعملية التعليم ، لذلك فإن (فرج ، ١٤٠٧ هـ) يوجب ربط التعليم بأسس الأخلاق النابعة من تعاليم الإسلام ومبادئه ، فتكون دعوة التعليم ذات صبغة دينية . (ص ١٨٩) .

ومن أجل ربط دروس الدين بالحياة الواقعية يجب على المعلم عدم الإكتفاء بذكر الأحكام والحقائق المجردة ، بل عليه أن يوضح الأحكام بأمثلة حسية مما يجري في المجتمع ويقوم التلاميذ بتطبيقها في الحياة العملية ، وبذلك تتمثل المبادىء والقيم الإسلامية في صورة أساليب للسلوك يأخذ بها في تصرفاته ومعاملته مع الآخرين ، كما يستفاد من الأحداث المنافية للإسلام والتي تحدث غالباً في البيئة مثل السرقة وغيرها فعلى المعلم أن يعلق عليها ويبين أضرارها على المجتمع (الحقيل ، التعليم الإبتدائي في المملكة العربية السعودية ، ١٤١٤ هـ ، ص ٧٧) .

كما أن المناهج الدراسية في المدرسة الإبتدائية تشمل على عادات، وإتجاهات تُغرس في الطفل، فالعادات الصحية المرتبطة بالأكل والشرب : مثل غسل اليدين، وطريقة الأكل ونوعيته ، وعادات صحية مرتبطة بالنظافة: مثل التخلص من قمامة المنزل ، وعادات مرتبطة بطريقة الجلوس ، والنوم ، واللبس ، وعادات صحية مثل البصق ، وإلقاء القازورات في الشوارع (الوكيل ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٧٩) .

وهذه الاتجاهات والعادات السابقة ذكرها الغزالي في طريقة تأديب الطفل من خلال أخلاقيات المنزل التي يجب على الطفل التعود عليها ، فقد أشار إليها بقوله : أن يعود الطفل على ألا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ، ولا يضع رجلاً على رجل ، ولا يضع كفه تحت ذقنه ، ولا يعمد رأسه بساعده ... ويعلم كيفية الجلوس .

وهذا في تعليم الطفل الآداب الصحيحة في الجلوس ، ويلاحظ أنه أورد بعض الآداب الصحية والمتعلقة بالنظافة ، والذوق العام مثل عدم البصق . والتمخط في حضرة الغير ، وعدم التثاؤب .

أما عن آداب اللبس فقد أشار الغزالي إلى أنه يجب أن يحبب للطفل الثياب البيض دون الملون والحرير ، وفيه تعويد للطفل على عدم لبس المحرمات والتي تشمل الحرير وما في حكمهما مثل ألبسة النساء أو الذهب والفضة وغير ذلك ... فقد أشار إلى أن الرجال يستنكفون من تلك الملابس .

كما يشمل المنهج على عدد من الأساليب التي من شأنها المحافظة على صحة الطفل ومنها النظافة ، والوقاية من الأمراض ، والإسعافات الأولية ، ومعرفة أساليب الصحة الوقائية كإبادة الحشرات ، وغسل الفواكه والخضروات . أما إجتماعياً فتدرب المدرسة الطفل عن طريق منهجها على حسن الاستماع، والتحدث بلباقة ، وأخذ الإذن قبل بدء الكلام ، والتعبير بصراحة ، وإحترام آراء الآخرين ، وإيثار الحق ، ومراعاة شعور الآخرين ، وغرس حب الخير في نفوسهم ، وبذل المعونة، ومساعدة المحتاج حسب الاستطاعة ، وفي هذا ترويض لأخلاقهم . (الحقيل، التعليم الإبتدائي في المملكة العربية السعودية ، ١٤١٤ هـ ، ص ٧٦) .

وقد أشار الغزالي إلى أدب الاستماع، وآداب الكلام والتي سبق ذكرها وذلك بقوله : يمنع الطفل من كثرة الكلام ، ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة ، ويمنع اليمين رأساً صادقاً كان أو كاذباً ، ويمنع أن يبتدى بالكلام ، ويُعلم أن يُحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سناً .

أما الآداب التي ذكرت بعد ذلك فقد ذكرها الغزالي في الآداب التعاملية ، وسيرد ذكرها إن شاء الله .

أما الإتجاهات التي يحث عليها المنهج الدراسي ، فهي إما إتجاهات بناءة هادفة يحث عليها التعليم، أو هي إتجاهات غير هادفة يجب محاربتها ، فالإتجاهات البناءة مثل الإتجاه نحو النظام، والنظافة والدقة، وتحمل المسئولية، والعدالة،

والأمانة، والصبر، والإخلاص، والوفاء، والصراحة، والحرية، وإحترام الآخرين ... وغيرها. أما الإتجاهات التي يجب محاربتها فهى الإتجاه نحو التعصب، والتسيب ، والفوضى ، والإهمال ، وعدم تحمل المسئولية ، والنفاق ، والوصولية ، والأنانية، والحقد ... وغيرها (الوكيل ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٨٠) .

فهذه الإتجاهات التي حث عليها المنهج الدراسي للمدرسة الإبتدائية، قد أشار إليها الغزالي وحث المربون على الأخذ بها عن تهذيب أطفالهم ، وقد أطلق عليها الغزالي إسم « الآداب التعاملية » وقسمها إلى قسمين (ما يحمد وما يذم) وهى نفس تقسيم المنهج الدراسي فهى تقابل « الإتجاهات البناءة وغير البناءة » فيقول الغزالي : أما ما يحمد منها كالصبر، والشكر، والخوف، والرجاء، والرضا، والزهد، والقناعة، والسخاء، والإحسان، وحسن الظن، وحسن الخلق، وحسن المعاشرة، والصدق، والإخلاص، وغيرها. أما ما يذم فخوف المقصر، والغل، والحقد، والحسد، والغش ، والكبر ، والرياء ، والغضب ، والأنفه ، والعداوة ، والبغضاء ، والطمع ، والبخل ، والبطر ، والفخر والخيلاء ، والمباهاة ، والمكر والمخادعة ، والخيانة ، والقسوة ، وقلة الحياء وقلة الرحمة ، وغيرها الكثير مما ذكره الغزالي .

ومما سبق يلاحظ التطابق التام بين الآداب التي حث عليها المنهج الدراسي في المدرسة الإبتدائية وبين الآداب التي ذكرها الإمام الغزالي رحمه الله وفي هذا دلالة على أهمية أفكار الشيخ الغزالي وأصالتها حيث أنها مطبقة في مدارسنا الحالية .

فهناك الكثير من مناهج المدرسة الإبتدائية التي تركز على غرس مفاهيم الأخلاق الإسلامية، مثل مناهج التربية الإسلامية، ومنها مادة الحديث مثلاً فنجد فيها بعض الأحاديث التي تحث على التمسك بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال . إضافة إلى بعض الموضوعات التي تحث على الأخلاق الحميدة وعواقبها ومضار الأخلاق السيئة وذلك في منهج (اللغة العربية) في مادة القراءة .

وهذه الطريقة التي تشمل على بث التربية الخلقية عن طريق المواد الدراسية لم يناد بها الغزالي مباشرة ولكنه أشار إلى معظم الآداب والأخلاقيات الموجودة ضمن مناهج المواد الدراسية في المدرسة الإبتدائية عندما أشار إلى وجوب غرس بعض الأخلاقيات عند تربية الطفل ، فمثلاً منهج العلوم والتربية الصحية يحتوى على الكثير من هذه الآداب، والأخلاقيات إضافة إلى بعض مواد التربية الإسلامية، وبعض مواد اللغة العربية التي تحتوى على بعض المعايير ، والقيم الأخلاقية المحددة للسلوك الإنساني القويم ، حتى ينشأ الطفل على حب الأخلاق الحسنة والعمل بفضائل الأعمال ، فتكون هى الأساس التي يُرتكز عليه في تربية الطفل وتنشئته ، فحتى لو مال الطفل عنها سرعان ما يعود إليها بمجهود قليل من النصح والإرشاد والتذكير .

وهذه الآداب السابقة تبث للتلميذ بطريق نظري عن طريق المناهج الدراسية التي تدرس للتلميذ ، والتي تخضع للفحص النهائي لتقويم مدى الاستفادة من هذه المادة ، إضافة إلى الفائدة الشخصية من هذه الدروس في فهمه لبعض الآداب والسلوكيات المطلوب منه الإلتزام بها ، ولكن ما ينقصه هنا هو التطبيق العملي لها حتى يتضح لنا مدى الاستفادة منها ، وحتى تتكون لدى الطفل الخبرة الكافية للتعامل مع هذه السلوكيات ، وهذا ما سنبحثه في الجزء التالي .

ثانياً : بث التربية الخلقية للطفل عن طريق بعض المؤسسات والأساليب والمبادىء التي إتخذها الغزالي لإكساب الطفل التربية الخلقية :

١ ـ تربية الأطفال خلقياً عن طريق بعض أساليب التربية الخلقية عند الغزالي :

أ ـ القدوة :

تعتبر القدوة من أهم أساليب التأثير على سلوكيات الأطفال ، لذلك فإن التلميذ في المدرسة لا بد له من قدوة يراها فيمن حوله سواء في المعلم، أو في مدير المدرسة، أو في التلاميذ الذين هم أكبر منه سناً ، ليرى فيهم السلوك المثالي الذي يجب أن يفعله ، فمن المعروف أن التقليد هو غريزة في الإنسان وهى رغبة ملحة

تدفع به إلى محاكاة الآخرين ، لذلك لا بد أن تستغل هذه الرغبة في طريقها الصحيح لزرع القيم والمبادىء الأخلاقية أو لتصحيح سلوك أخلاقي معين ، لذلك يجب أن يكون الأبوان في المنزل والمعلمون في المدرسة نماذج طيبة في السلوك حتى يساعدوا النشىء على تشرب العادات الإسلامية منذ نعومة أظفارهم .

يقول (العويس ، ١٣٩٩ هـ) إن إتخاذ النشىء للقدوة والمثل الأعلى هو أمر يتم بحكم مراحل النمو التي يمر بها النشىء ، لهذا فهم في حاجة إليها ، أما في حالة إفتقارهم لها في الواقع نجدهم يبحثون عنها في مجالات الخيال . (ص ٢١).

فالمدرسون من خلال إحتكاكهم المباشر بالتلاميذ يجب أن يكونوا على مستوى عال من الأخلاقيات، من خلال تعاملهم مع التلاميذ أو مع زملائهم ، وأن تتطابق أقوالهم مع أفعالهم ، عند ذلك نرتجي من التلاميذ أن تتطابق أفعالهم وتصرفاتهم مع ما يحثهم عليه المعلم وتحثهم عليه القيم الأخلاقية التي يدرسونها في المواد الدراسية ، فحينما تتطابق الدروس النظرية مع المشاهدات العملية يكون وقع الدرس أرسخ في أذهان التلاميذ ، فالأستاذ الذي لا يصلى لا يمكن أن يحث الأطفال على الصلاة ، كما لو أنه يدخن ويمنع التلاميذ من التدخين أو يتحدث عن أضرار التدخين ، فهذا لن يجد أى صدى لدعوته لأن الأطفال ربما يروه يمنعهم عن شيء فيه لذة ومتعة .

لذلك فإن « التحصيل العلمي وحده لا يكفي لتعديل السلوك ، بل ينبغي أن تتكامل المعرفة والممارسة لأن الإقتصار على الجانب النظري يؤدي إلى الازدواج ما بين القول والعمل » (إسماعيل ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٤٩) .

ولتحقيق الأهداف المرجوة في المرحلة الإبتدائية يجب على المدرسون أن يكونوا قدوة حسنة لتلاميذهم في أداء الصلاة والتحلي بالأخلاق الفاضلة ، ويكونوا صادقين فيما يقولوا ، أوفياء إذا وعدوا ، أمناء في أعمالهم ، عادلين في معاملتهم ، متزنين يضبطون أنفسهم عند الغضب . (الحقيل ، كتاب التعليم الإبتدائي في المملكة العربية السعودية ، ١٤١٤ هـ ، ص ٦٩)

لهذا فإن نظام التربية لم يفسد في مدارسنا إلا بعد أن أصبح أكثر المعلمين يقولون ما لا يفعلون فلم يجد فيهم التلاميذ المثال الطيب، والنموذج الجميل، والقدوة الحسنة (الجنبلاطي ، د . ت ، ص ١١٦) .

كما يجب أن لا ننسى أن لا يكون واقع المدرسة مخالفاً لما ندعو له ، فعند دعوتنا للنظافة ومراعاتها في الأكل والشرب والملبس والمسكن ، نجد المدرسة تفتقد إلى ذلك من قذارة الحمامات وعدم تقديم الأكل الصحي النظيف في مقاصف المدرسة .

ب ـ مراقبة الأطفال وصيانتهم من قرناء السوء :

إن على الآباء والمعلمين واجباً عظيماً نحو رعاية تلاميذهم والوقوف على أحوالهم ومتابعة سلوكهم عن كثب ، فالمعلم يجب عليه ملاحظة التلميذ ملاحظة دقيقة في إختلاطه مع أقرانه ، وإبعاده عن الأطفال سيىء الخلق ومن هم أكبر منه سناً مع ملاحظة ما يقرأه التلميذ ، ورصد كل تغير في سلوكه ، ويجب أن يربط المعلم بين تأثر التلميذ بمن في المدرسة وبمن هم خارج المدرسة لذلك يقول (الحقيل، ١٤١٤ هـ، الإدارة المدرسية وتعبئة قواها في المملكة العربية السعودية) إن التلاقى المنتظم بين المعلم والوالد لتبادل الآراء والإتفاق على خطة موحدة لبناء شخصيات التلاميذ، وتوجيه سلوكهم، ويرفع مستواهم من جميع النواحي دينياً ، وخلقياً ، واجتماعياً ، وعقلياً ، وجسمياً ، وثقافياً ، ونفسياً (ص ١٤٢/١٤٣) .

وهذا لا يتم طبعاً إلا إذا شعر كل معلم أنه مسؤول مسئولية تامة أمام الله، ثم أمام ضميره ، وأمام مجتمعه ، واهتمام المدرسة والمعلمون بمراقبة التلميذ حتى تصبح شخصيته قوية متكاملة البنيان ، بعيدة عن الجنوح، والخور، والإنحراف ، والخوف والتردد ، والتسرع ، والاندفاع ، والانفعال الطائش الأحمق ، وهى بعض ما سوف يكتسبه التلميذ من أقرانه ويمكن حمايته منهم .

وقد حث الغزالي على حسن مراقبة الطفل وصيانته من قرناء السوء ، وذلك بأن يؤدبه والده ، ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، فمراقبته تتم من بداية نشأته ،

فيحفظه من مخالطة من يجرى على لسانه شيء من الفحش ، واللعن ، والسب ، فإن ذلك يسرى من قرناء السوء إلى التلميذ أو الطفل ، بل إن الغزالي جعل أصل تأديب الصبي هو حفظه من قرناء السوء .

جـ ـ اللعـــب :

يهدف اللعب إلى إكساب الجسم الحيوية والنشاط ، ويجعله قادراً على التحصيل ، والاستيعاب بكفاءة أكبر ، كما أنه وسيلة فعّالة لاستثمار الوقت ، فهو يتيح للتلميذ فرصاً لتكوين بعض المفاهيم الجديدة ، والقيم المهمة ، والسلوكيات الحسنة ، بطرق غير مباشرة متضمنة في ألعابهم فيقول (فلاته ، ١٤١٣ هـ) إن الأطفال يتعلمون خلال وجودهم في البيت والمدرسة ، التفرقة بين الصواب ، والخطأ وما هو أخلاقي ، وما هو غير أخلاقي ، إلا أن الفرصة أثناء اللعب تعتبر أفضل من غيرها في التعرف على المستويات الأخلاقية (ص ١٠٩) .

ويتيح اللعب للطالب ممارسته هوايته التي تناسب استعداداته ، وقدراته، وتشبع ميوله ، وإتجاهاته ، وتنمي الروح الرياضية والتمسك بأخلاقياتها ، وتكوين عادات ، واتجاهات ، وقدرات لدى الطفل ، وهذا يُعوِّد الطفل على ضبط النفس ، وتنظيم الإنفعالات عند الفوز ، أو الهزيمة ، كما يدرب الطفل على حفظ النظام ، والربط بين الحقوق ، والواجبات عن طريق المحافظة على المستلزمات الرياضية. (الحقيل، الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية، ١٤١٤ هـ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤) .

وذكر الغزالي أن التلميذ يجب أن يُسمح له باللعب بعد خروجه من المدرسة ، وأن يلعب لعباً محبباً إليه ليُذهب عنه تعب الدراسة ، واشترط أن لا يُجهد نفسه في اللعب ، كما ذكر أن منع الطفل من اللعب، والضغط عليه بكثرة التعلم يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه عيشه، فيؤدي ذلك إلى نتائج تضر بالطفل، وتنعكس على من حوله فربما يكره التعليم ويطلب الخلاص منه .

٢ ـ بعض المبادىء التربوية لاكساب التربية الخلقية عند الغزالي :

أ ـ الفروق الفردية :

إن من أهم أهداف المدرسة الكشف عن ميول الطلاب، وقدراتهم، واستعداداتهم الفطرية، والعمل الجاد على حسن توجيه هذه الميول، والاستعدادات، والقدرات الوجهة الإسلامية الواعية ، وعن هذا يقول (الحقيل ، الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية ، ١٤١٤ هـ) تهيىء أفضل الظروف لكي تنمو هذه الميول والقدرات والاستعدادات في مصلحة الطالب والجماعة ، وهذا يتوقف على الدراسة الفردية، ولن تتحقق الدراسة الفردية بفعالية، إلا إذا كان المعلمون على مستوى المسئولية، أو إذا اهتم كل معلم بدراسة تلاميذه دراسة فردية فاحصة (ص ٧٣) .

فالناس مختلفون في إمكاناتهم ، فبعضهم يدرك الأمور في ثوان وبعضهم في ساعات ، فعلى المعلمين أن يأخذوا في الإعتبار قدرات الطالب الخاصة، وأن يراعوا مواهبه ، وأن يسلطوا الأضواء على قابلياته ، ولا يصهروا أنماط سلوكهم في بوتقة واحدة ، وهذا يعني لزومية الإهتمام بالطالب الفرد وليس الطالب الوسط ، الذي يمثل غالبية الطلاب (نتو ، ١٤٠١ هـ ، ص ١٠٢) .

لذلك كان على المعلم أن لا يصب جميع التلاميذ في قالب واحد ، وأن يستخدم معهم التوجيه الإسلامي الحكيم ، بالإرشاد الواعي البصير، وبالأسلوب الرقيق، والحكمة، والموعظة الحسنة، والجدل بالتي هى أحسن .

(الحقيل ، الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية، ١٤١٤ هـ ، ص ٧٣)

إن الفروق الفردية حقيقة قائمة لا يجوز للتربية أن تهملها ، فالتربية الحقة هى التي تهدف إلى تنمية ما لدى الأفراد من قدرات على إختلافها لذلك فهى تزيد من تلك الفروق الفردية ، ولمواجهة هذه الفروق نجد أن هذه الفروق تتزايد كلما تقدمنا في التعليم لذلك نجده في المدرسة الثانوية أوضح ، لذلك يحبذ ترك الحرية للتلميذ في اختيار مقرراته التي تلائمه إضافة إلى تنويع الدراسة الثانوية إلى علمي وأدبي وصناعي أو مهني ، وهناك طريقة التدريس وتوزيع المتعلمين حسب قدراتهم العقلية وميولهم ورغباتهم ، وأخيراً فإن المعلم هو المسئول عن تقديم المواد التعليمية بصورة تناسب المتعلمين بالرغم من تفاوتهم (عبدالله ، ١٤٠٦ هـ ، ص ١٦٦ / ١٦٧) .

ونلاحظ أن أغلب هذه الأفكار مطبقة في مدارسنا .

وهذا المبدأ الهام حث عليه الإمام الغزالي فهو يفضل أن يتعلم الصغير الأمور الواضحة الجلية ، لأن تعلم ما لا يفهمه يجعله ينصرف عن التعلم وربما تأتي بنتائج عكسية تضره وتضر غيره ، وذكر أن العوام يحب أن يُعلموا أولاً العبادات والأمانة في عملهم والرغبة والرهبة في الجنة والنار فقط ، وأشار الغزالي إلى أن المعلم لو استعمل أسلوباً واحداً مع جميع التلاميذ فلن يفهم الجميع ولأمات قلوب بعضهم ، لذلك يجب عليه أن ينظر في ظروف كل واحد منهم فينظر إلى سنه، وحالته النفسية، ومدى تحمله لاستيعاب ما يلقى إليه .

لهذا يجب أن يغير المعلم من طرق شرحه للدرس ويحاول إيصال معلومته للتلميذ بعدة طرق لأن لكل تلميذ طريقة يستطيع بها فهم المعلومة واستيعابها .

ب ـ العقوبة :

قبل الحديث عن العقوبة يجب التحدث أولاً عن الثواب في التربية، وهو ما يعرف بمبدأ التعزيز الإيجابي، لأن هذا المبدأ يعتمد على استخدام المكافأة والمديح عند إنجاز مهمة ما ، كوسيلة لدفع التلميذ على إبقاء ما تحصل عليه، أو حفزه على طلب المزيد ، لذلك فالثواب في التربية له مردود إيجابي ويأتى بنتائج مرضية ويعلل (النتو ، ١٤٠١ هـ) سبب ذلك أن التعزيز الإيجابي بعيد عن اللوم، والتعنيف، ويتحاشى الضرب، والإهانة، والتوبيخ، عند وقوع التلميذ في الخطأ، أو عند إخفاقه في تحقيق المطلوب ، وهذا يجعل التلميذ يؤمن بفشله ولا يحاول بعده التحسين ، بل يبدأ في فقدان كرامته ، ويندفع إلى العناد ، ويألف الظلم، والعداوة، والبغضاء ، ويفقد الإيجابية، والرغبة، والحماس، وهذا يعرف عند رجال التربية الحديثة بالتعليم السلبي . (ص ١٠١) .

وإذا كانت جميع نظريات التعلم تعطى أهمية للثواب ، والمتمثلة في الحصول على مكافأة ، أو تجنب التعرض للعقوبة ، وإن جميع نظريات التعلم تختلف في جدوى العقوبة في عملية التعلم، فيذكر (عبدالله ، ١٤٠٦ هـ) أن أنصار التربية الحديثة يميلون إلى إنكار دور العقاب في العملية التربوية، ولا يفوتهم الإشارة إلى

العديد من الدراسات النفسية التي أثبتت عدم فاعلية العقوبة ، مع عدم خلو هذه الدراسات النفسية من العيوب . (ص ١٥٩) .

ومن هذه العيوب مثلاً أن العقاب المستخدم في بعضها من نوع خفيف لا يؤلم، وقد يكون هذا السلوك المعاقب في بعض تلك الدراسات الاستجابة الوحيدة، مثل معاقبة الفأر في المتاهة عند محاولته الحصول على الطعام ، فمن المتوقع أن يقوم بتكرار هذا السلوك لحاجته للطعام ، لذلك فالعقوبة لم توقف السلوك المعاقب عليه لأهميته في حياة الكائن الحي، ولعدم وجود السلوك البديل حتى مع وجود العقاب .

« ويجب التأكيد على أن التربية لا تستطيع أن تلغي العقوبة من قاموسها، إذ لولا العقوبة لما عرف الطالب معنى الإثابة، والثواب والعقاب أسلوبان متكاملان يوصلان إلى الهدف شريطة أن يحسن استخدام كل منهما » (عبدالله، ١٤٠٦ هـ، ص ١٦٠).

فمثال ذلك إذا لم يوقع المعلم أدنى عقوبة على طلابه فإن أحدهم قد يفسر حصوله على درجة متوسطة على أنها عقوبة ، لأن ذلك أدى إلى تراجعه مقارنة مع زملائه .

وقد أشار الغزالي إلى العقوبة بقوله يجب زجر المتعلم بطريق غير مباشر، واستعمال الرحمة، وأن لا يوبخ، ولا يستعمل الزجر المباشر الصريح ، فإن له أضراراً منها : العناد على الفعل المنهى عنه، وألمح الغزالي إلى عدم معاقبة التلميذ من أول غلطة له، أما عند تكرارها فيحب أن يعاتب سراً، وتوعّده بأن ما فعله أمر عظيم، وأن لا يكثر عليه القول والعتاب لأنه بعد ذلك لن يجد للعتاب تأثير في نفسه، أما عن الثواب فيقول الغزالي بأنه يحب أن يكرم الصبي إذا أظهر خلق حسن ، أو فعل محمود ، ويجازى عليه بما يفرح ويُمدَح بين الناس .

جـ ـ بعض المبادىء والقيم والمعايير الأخلاقية :

تعتبر المدرسة مجالاً خصباً لتعليم الصبيان أهم المبادىء الأخلاقية لتطبيقها في حياتهم حتى الأخلاق التي تطبق في المنزل أو في الشارع يجب تعويد التلميذ عليها من المدرسة لأن ما يتعلمه في المدرسة سوف يَرْسخ في ذهنه لأسباب منها

إيمان الطفل الشديد بأن ما يقوله معلمه هو الصواب دائماً ، فيحاول تطبيقه ، إضافة إلى وجود أقرانه من التلاميذ الذي يؤدي وجودهم إلى نوع من التحدى لتطبيق ما تعلموه في المدرسة . وإن من أهم هذه المعايير التي يجب على التلاميذ معرفتها من المدرسة هى تعاليم الإسلام فيجب أن تكون المدرسة مجتمعاً إسلامياً حقيقياً يدرب فيها التلاميذ على تحقيق العبودية لله وحده والإيمان به رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً، وهذا ما أشار إليه (الحقيل ، الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية ، ١٤١٤ هـ) « بأن هذا المجتمع الإسلامي يجب أن يكون مشبعاً بالتعاطف ، والتراحم ، والتعاون ، والتلاحم ، والتفاهم بين طبقات المجتمع في ظل العلاقات الإنسانية ، والإحترام المتبادل ، والتواصي بالحق وبالصبر ، وتنمية روح التشاور الإسلامي ، والسماحة في الأخذ والعطاء ، وعند تبادل الآراء ، ومقابلة الحجة بالحجة ، والإقناع بالرأى الأصوب ، والأخذ برأي الجماعة في ظل المنهج الإسلامي للوصول إلى الصالح العام والتكافل وتحمل المسئولية » . (ص ٧١، ٧٣) .

وتطرق الغزالي لكثير من هذه الآداب والقيم الأخلاقية ، سواء منها الحسية ، أو المعنوية ، أما الحسية فهي : التي يقصد بها أفعال الطفل وأعماله في حياته ، مثل الحث على العمل، وعدم الكسل، والخشونة في الملبس، وغيرها ، وقد حث الغزالي على وجوب منع الصبي من تلك الصفات خفيه دون إشهار ، ثم أشار إلى آداب المشي التي يجب على الطفل التقيد بها في مشيته ، منها عدم كشف أطرافه حين مشيته ، وعدم الإسراع في المشي ، وعدم تحريك يديه بشكل عشوائي ، ثم ألمح الغزالي إلى وجوب تعويد الصبي على الكرم لمن يعاشرهم ، والتلطف في الكلام ، والتواضع ، وعدم الفخر على أقرانه بما يملكه والداه ، أو ما يملكه هو أو بطعامه ، وملبسه ، وغير ذلك ، ويعود على عدم الأخذ لأى شيء ، بل يفضل أن يعطي فقط ، لما فيه من التعود على الزهد بما في أيدي الغير .

أما عن الصفات المعنوية التي أشار لها الغزالي مثل الصدق والنظافة والصبر وغيرها الكثير فقد سماها الغزالي بآداب المعاملة وقد سبق ذكرها .

٣ ـ تربية الأطفال خلقياً عن طريق بعض المؤسسات التربوية ذات العلاقة بالطفل :

أ ـ الأسرة :

وتشمل الأسرة الأم وإختيارها، ثم دور الوالدين في تربية الأطفال على الأخلاق الحسنة . فقد أدرك الناس منذ القِدَم قيمة الميراث الخلقي الذي يتحدد عن الآباء، والأجداد، إلى الآباء والأولاد والأحفاد، جيلاً بعد جيل ، ويظهر هذا في أمور كثيرة منها شدة الحرص في بعض الأسر على إنتخاب الأزواج من سلالة عريقة في العقل والنبل . (الحقيل، الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية، ١٤١٤ هـ ، ص ١٤٤) .

ودور الوالدين مهم جداً في تربية أبنائهم على أساس متين من نهج الإسلام وهم معنيون بوقاية أهليهم من النار ، كما جاء في الآية الشريفة ، وهذه الوقاية لا تكون إلا بتغيير سلوكهم السيىء، وتعديل ميولهم المنحرف، وتطهير نفوسهم ، وتكوين العادات الإسلامية الصحيحة ، وترسيخ عقيدة التوحيد في قلوبهم ، وتنمية عواطفهم الإنسانية النبيلة، وبناء شخصيتهم المتكاملة ديناً وخلقاً وعقلاً واجتماعاً .

> ويرى (الحقيل ، الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية ، ١٤١٤ هـ) « أن ينابيع الخُلق هى الوراثة، والمنزل، والمدرسة، والأصدقاء، وهذه جميعاً تلتقى في البيت، لأنه تجتمع فيه جميع أشكال المجتمع الصغير ، فيتعلم فيه الطفل العادات، والأعراف، وباقى الظواهر الاجتماعية، ويتلقى دروس الدين، والتفريق بين الصحيح والخطأ، والحسن والقبيح ، ويتعامل مع غيره بالأخذ والإعطاء ، ويعرف معنى الملكية الفردية ، والحقوق والواجبات » (ص ١٤٥) .

ولتأكيد دور الوراثة في عملية التعليم ، يؤكد علماء النفس على أن التربية لا تستطيع في أحسن الظروف أن ترفع مستوى تعليم المتخلفين عقلياً إلى مستوى الأفراد العاديين من أقرانهم ، وهذا العجز دليل على تأثير العامل الوراثي على التعليم (عبدالله ، ١٤٠٦ هـ ، ص ١٦٣) .

أما المربى الذي يؤمن بأن الطفل يولد على الفطرة، يبذل جهده لتنمية الطاقات الخيرّة التي وهبها الله للطفل ، حيث أن الطفل بمجرد إحتكاكه مع الغير تتغير فطرته ، وهذا لا يعني أن يسترخى المربون .

وعموماً هذا ما حث عليه الغزالي، حيث ركز على إختيار الأم المتدينة التي تأكل الحلال ، لأن اللبن المغذى من الحرام لا بركة فيه ، ويمكن للطفل أن يتعود على

الخبائث عند أكله الحرام . لذلك يقول الغزالي أن الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه قابل لغرس أى شيء فيه ، فإن عوّد على الخير نشأ عليه ، وإن عوّد على الشر وأهمل شقى وهلك ، فالمولود كما يقول الغزالي يولد معتدلاً صحيح الفطرة فأبواه يُميلانه عن الفطرة بالاعتياد والتعليم .

ب ـ البيئـــة :

وتشمل البيئة على المجتمع الذي يعيش فيه التلميذ من منزل، وشارع، ومدرسة وغيرهم ، لذلك يجب أن تكون المدرسة قوية الصلة بالمنزل، وبالمجتمع، وبالأحداث الجارية فيه، حتى يتسنى لها أن تعمل على إصلاح البيت، والمجتمع، وتلافي الأخطاء ، وتوعية الآباء بالواجبات ، فيجد الطفل في المدرسة المُثل الأخلاقية الرفيعة ، والمُثل الجمالية العليا في كل ما تقع عليه عينه وسمعه ، ويقارنه بما في المنزل ، والمجتمع حوله ، ليحاول إصلاحهما .

فيجب على المعلم دراسة أحوال التلميذ المنزلية ، لأن الأطفال يحضرون إلى المدرسة مصطحبين معهم مشاكل المنزل ، وبناءاً عليه يقول (الحقيل ، الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية ، ١٤١٤ هـ) « أن المدرسة وحدها لا تستطيع تحقيق أهداف التربية ما لم يتكاتف المنزل معها ، فالمدرسة تبني وتبذل الجهود المضنية في تربية التلاميذ ، ولكنهم أحياناً يجدون في حياتهم الأسرية عاملاً هداماً لما تبنيه المدرسة » . (ص ٧٥) .

وعـن دور البيت في تكوين الأخـلاق ، ومسئولية المدرسـة تجاه تصحيح ذلك كما يقـول (الحقيل، الإدارة المدرسية وتعبئـة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية، ١٤١٤ هـ) : « إن أكثر الأمراض الخلقية كالأنانية ، والفوضى ، وفقد الثقة بالنفس، وعدم الشعور بالمسئولية ، والرياء ، والنفاق ، إنما تنتشر جرثومتها من البيت والمجتمع ، وعسير على المدرسة استئصالها ، فهؤلاء العناصر الذين يحملون الداء إذا اصطدموا بعناصر أخرى سليمة من المدرسة تصارعتا ، وهكذا يتضح دور المدرسة في بناء أخلاق النشىء » . (ص ١٤٧) .

وأشار الغزالي إلى دور البيئة الأساسي في التأثير على سلوك الطفل، وشبه النفس بالبدن ، فذكر أن البدن يخلق ناقصاً يكمل بالغذاء ، فكذلك النفس تخلق ناقصة ، تكتمل بالتربية ، وتهذيب الأخلاق ، والتغذية بالعلم .

النتائـــج

يتناول الباحث في هذا الجزء النتائج التي توصلت إليها الدرا
النحو التالي :

١ ـ يرى الغزالي أن الخلق هو : هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر ، من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة ، عقلاً وشرعاً ، سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت تلك الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً .

٢ ـ يرى الغزالي أن أساس الخلق الحسن هو الإعتدال في التحلي بالأخلاق ، وهذا الإعتدال إما أن يكون فطري ، وهو نادر الوجود إلا من المعصومين ، مثل الأنبياء ، أو يكتسب بالممارسة ، وقد حدد الغزالي الأخلاق الحسنة بأنها صفات الرسول ﷺ ، والمؤمنين، أما الأخلاق السيئة، فهي الرذائل، والخبائث ، وصفات المنافقين .

٣ ـ يرى الغزالي أن حسن الخلق هو الإيمان ، وسوء الخلق هو النفاق ، وقد حدد الغزالي بعض علامات حسن الخلق ، وهي كالتالي : أن يكون الإنسان كثير الحياء ، قليل الأذى ، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، براً، وصولاً، وقوراً، صبوراً، شكوراً، رصيناً، حليماً، رفيقاً، عفيفاً، شفيقاً، لا لعاناً، ولا سباباً، ولا نماماً، ولا مغتاباً، ولا عجولاً، ولا حقوداً، ولا بخيلاً، ولا حسوداً، بشاشاً، هشاشاً، يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله .

٤ ـ يرى الغزالي أن الأخلاق مكتسبة ، ومن ثم يمكن تغيير الخلق من حسن إلى قبيح ، ومن قبيح إلى حسن .

٥ ـ يرى الغزالي أن من العوامل المؤثرة في إكساب الأخلاق الحسنة ما يلي :

أ ـ إعتياد الأفعال الجميلة وممارستها .

ب ـ مشاهدة أرباب الفعال الجميلة .

جـ ـ مصاحبة أرباب الفعال الجميلة ، وهم قرناء الخير ، وإخوا

د ـ الرياضة ، ونعنى بها حمل النفس على الأعمال التي يقا المطلوب .

٦ ـ يرى الغزالي أن من العوامل المؤثرة في إكتساب الأخلاق السيئة ، مصاحبة قرناء السوء .

٧ ـ يرى الغزالي أن تربية الطفل تبدأ من إختيار الأم الصالحة .

٨ ـ يرى الغزالي أن من أسهل الطرق وأيسرها ، لإكساب الطفل التربية الخلقية ، إما بثها عن طريق : المؤسسات التربوية ذات العلاقة بالطفل مثل :

أ ـ البيئة ب ـ المدرسة جـ ـ المسجد د ـ الأسرة .

أو عن طريق بعض أساليب ووسائل التربية الخلقية والتي منها :

أ ـ المراقبة ، وتعني ملاحظة سلوك الطفل .

ب ـ صيانة الأطفال من قرناء السوء .

جـ ـ القـدوة .

د ـ الثواب والعقاب .

هـ ـ اللعـب .

٩ ـ يرى الغزالي أن تغيير الخلق في سن مبكرة أمر سهل ، على حين يصعب تغييرها في السن المتأخرة .

١٠ ـ يرى الغزالي ضرورة مراعاة الفروق الفردية ، كمبدأ من المبادىء التربوية التي تكسب الطفل الخلق الحسن ، وذلك بتكليف كل طفل بما يناسب سنه من الأخلاقيات ، ومن ثم محاسبته عليها ، وتكون المحاسبة ، بقدر ما يحتمله الطفل .

١١ ـ يرى الغزالي أن العقوبة مبدأ من المبادىء التربوية في إكساب الطفل الخلق الحسن ، حتى يدرك الطفل صحة عمله أو خطئه ، وحتى لا يكرر الطفل خطأه ، وتكون العقوبة بالتدريج ، مع عدم استعمال القسوة في العقاب .

١٢ ـ يرى الغزالي تعويد التلاميذ على بعض الآداب والقيم الخلقية ، مثل العدالة، والرحمة، والمساواة، والإخلاص، ... وغيرها، ومراقبة الطفل في عملية الممارسة والتطبيق لترسيخ هذه المفاهيم .

١٣ ـ يرى الغزالي تعويد الطفل على ممارسة بعض الآداب الاجتماعية الخاصة بسلوكه ، والتي تكوّن شخصيته ، مثل الكلمة الحسنة، والبشاشة، والصدق، والتواضع، وغير ذلك ، وقد حدد الغزالي بعض أبعاد الجوانب التطبيقية للتربية الخلقية، مثل أخلاقيات المنزل، والتي تشمل : آداب الطعام، والشراب، والمجلس، والكلام، والمخالطة، والملبس، وتعويد التلاميذ عليها، وضرورة إلتزامهم بها .

١٤ ـ يرى الغزالي عند تعليم الطفل ، البدء بتعليمه العلوم الشرعية، بدءً من القرآن الكريم، وعلومه، وما يتبعه من حديث وعلومه، وفقه، وتوحيد، وتفسير، وغيرها، لما لها من الفائدة الدينية والدنيوية .

١٥ ـ يرى الغزالي ضرورة تحصين الطفل من الأخلاق السيئة ، المضرة بالمجتمع عامة ، كالسرقة، والزنا، وغيرهما .

١٦ ـ يرى الغزالي أهمية حث الطفل على إكتساب أخلاقيات التعامل ، سواء من الوالدين ، ومن في مقامهما ، ومع العامة من الناس .

١٧ ـ أوضح البحث أهمية التربية الخلقية ، في التعليم الإبتدائي عامة ، والتعليم الإبتدائي في المملكة العربية السعودية، بصفة خاصة ، في ضوء أهداف التعليم الإبتدائي بالمملكة ، ومطالب النمو لطفل المرحلة الإبتدائية .

١٨ ـ إن تعليم الأخلاق في المدارس الإبتدائية ، كمادة مستقلة ، يمكن أن يؤدي إلى نتائج إيجابية في مجال إكساب الطفل للتربية الخلقية، ولكنها قد تحمل بعض السلبيات ، وذلك لإعتمادها على التلقين، وإنفصالها عن التطبيق، ولكن عند الجمع بين التطبيق والتلقين يمكن للمادة تحقيق نتائج إيجابية .

التوصيات والتطبيقات التربوية

في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها ، توصي الدراسة بما يلي :

١ ـ تعد القدوة أسلوباً علمياً ينبع من فطرة الناس ، ورغبتهم في التقليد والمحاكاة، لذا ينبغي التأكيد والإهتمام بدور القدوة الحسنة بالمدرسة، بإعتبارها من أساليب إكساب التلاميذ للتربية الخلقية . ولا شك أن أحد جوانب الإهتمام ، ترتبط بالمعلم، فهو مطالب بتقديم النموذج العملي لطلابه في شخصه، وسلوكه، وشمائله، وتعامله، وأن يكون مثالاً حياً، وترجمة عملية لحقائق، وتعاليم، وآداب، وتشريعات، وأخلاق القرآن الكريم ، وليعلم أنه مسئول أمام الله عن كل من يتبعه أو يقلده من التلاميذ . كما أنه مطالب بأن تتطابق أقواله مع أفعاله ، وإلا صح فيه قول الله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾
كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ (الصف : ٢ ـ ٣)

٢ ـ يجب أن تكون المدرسة مجتمعاً إسلامياً حقيقياً ، تتحقق فيه كل مقومات المجتمع الإسلامي الكبير ، حتى إذا تشبع الطفل بالأخلاقيات الإسلامية منذ الطفولة ، أصبح مواطناً صالحاً ، ويتحقق هذا المجتمع بأمور منها :

أ ـ الحفاظ على أداء الشعائر الدينية في المدرسة ، مثل أداء الصلاة جماعة، مع وجود مسجد خاص لأداء الصلاة فيه، حتى يستشعر التلميذ الجو الروحاني الذي تؤدى فيه الصلاة .

ب ـ الحرص على وجود لوحة فيها آية قرآنية، أو حديث شريف ، يحث على خصلة من الخصال التي يجب على المسلم أن يتحلى بها، وأن لا تسمع أذناه في الإذاعة المدرسية إلا آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، مع شرح مبسط لها .

٣ ـ الإهتمام بالمؤسسات التربوية التي يتردد عليها الطفل، ويعيش فيها كالأسرة، والبيئة، فالأسرة هى العامود الأساسي الذي تعتمد عليه التربية في غرس

المبادىء والقيم الأخلاقية، والأسرة تشمل الوالدين والأخوة والأقارب والخدم والمربيات ، لذا فالإهتمام بالأسرة مهم ، ومن مظاهر هذا الإهتمام ما يلي :

أ ـ إختيار الأم وفق المعايير الإسلامية ، لأن الأم غالباً هى المربية والمرضعة، وهى المسئولة عن غرس الفضائل والقيم النبيلة في الطفل .

ب ـ الإهتمام بتربية الطفل الأكبر في الأسرة على الفضائل ومحاسن الأخلاق، لأن الطفل الصغير غالباً ما يتطبع بأخلاق الطفل الأكبر، ويحاكيه في أفعاله .

جـ ـ إهتمام الوالدين والأقارب بالقيم الأخلاقية ، والعادات السليمة ، ومحاولة تطبيق الصالح منها أمام الأطفال، وعدم ممارسة أي تصرف خاطىء أمام الطفل، قد يولّد لديه موقفاً جديداً، أو يثير لديه تساؤل عن هذا الموقف. لأن الواضح أن تأثيرهم على أبنائهم مهم جداً ، فهم يتعلمون كل تلك الأخلاق من الأسرة ومن أفرادها .

د ـ الإختيار الأمثل للخادمات ، وعدم إسناد مهمة تربية الأبناء لهن .

أما البيئة فهي تشمل المدرسة، والمسجد، والشارع، فمن مظاهر الإهتمام بها ما يلي :

أ ـ حث الأطفال على حضور صلاة الجماعة في المسجد ، مع إلزامهم بحضور حلقات تحفيظ القرآن الكريم فيه .

ب ـ إختيار الأبوين أصحاب طفلهما بعناية .

جـ ـ عدم السماح للأطفال باللعب في الشارع .

٤ ـ تحصين التلاميذ ضد الممارسات الخاطئة، والمضرة بالمجتمع، وذلك كالسرقة مثلاً، وذلك بالطرق التي منها ما يلي :

أ ـ تحذير التلاميذ وتخويفهم من فعل هذا السلوك ، وبيان النهاية السيئة للسارق في الدنيا والآخرة .

ب ـ وجود بعض الوسائل التعليمية المناسبة التي تبين العقاب الذي سيناله السارق في الدنيا .

جـ ـ عقد ندوات في المدرسة يقوم بها رجال الأمن ، وذلك للتنبيه على خطورة مثل هذه الظواهر وغيرها، وحتى يكون وقع الكلام أكبر على نفوس التلاميذ .

د ـ بيان نظرة المجتمع للسارق، وكيف أنه منبوذ، ومحتقر، نظراً لأنه قام بعمل غير شريف، وأن عمل السرقة يضر بالمجتمع، ويورث الأحقاد، والكراهية، والإنتقام .

٥ ـ العقوبة وتشمل جميع أنواع الجزاء ، فالجزاء على الفعل السيء يعتبر عقوبة، وردعاً عن فعله، أما الجزاء على الفعل الحسن فيعتبر مكافأة على هذا الفعل، وتحذيراً بالحرمان من المكافأة في حالة الوقوع في الفعل المضاد، وهو ما يعرف بالثواب والعقاب ، مع عدم الإكتفاء بالعقاب المعنوي، إنما يجب أن يكون هناك عقاب بدني، تحت شروط وضوابط معينة، ذكرها الشارع الحكيم .

٦ ـ مراقبة الأطفال وصيانتهم من قرناء السوء، فهذا الأسلوب ذو إرتباط مباشر وسريع لإكساب الطفل الخلق الحسن، وقرناء السوء يحثون على الخلق القبيح، لذلك يجب التحذير من مصاحبتهم أو الإحتكاك بهم في المدرسة، أو في الشارع، ومن أهم الأساليب التي تحقق هذه المراقبة هي :

أ ـ تحذير التلاميذ من مصاحبة قرناء السوء، وبيان أضرارهم وخطورتهم، وحثهم على مصاحبة قرناء الخير ذوى الأخلاق الحسنة، وبيان محاسنهم، والفائدة من مصاحبتهم .

ب ـ يجب على الوالدين توجيه الأبناء لإختيار أصدقاء أبنائهم بعناية ، بحيث يكونوا من أهل الصلاح، والأخلاق الحسنة، وإخضاع من تم إختيارهم من جانب الطفل للملاحظة، والتقويم، وإختيار سلوكه لمعرفة مدى ملاءمته لمصاحبة الطفل .

جـ ـ دور المدرسة من معلمين، وإداريين ، في المراقبة تتركز على عدة أمور منها :

ـ مراعاة الفروق الفردية عند توزيع التلاميذ في الصفوف الدراسية ، أو في أماكن تجمعهم وترددهم .

ـ إضافة إلى مراقبة المعلم للأطفال والتلاميذ الذين يشك في سوء خلقهم، والتركيز عليهم لمحاولة تعديل سلوكهم، وعدم إحتكاكهم بمن هم من ذوي الأخلاق الحسنة، أو من هم أصغر سناً منهم، ومحاولة إفسادهم.

٧ ـ تعتبر الفروق الفردية ركيزة مهمة في العملية التربوية، فيجب أن يتعامل المعلم مع كل متعلم بحسب قدرته على الاستيعاب والفهم، وعدم مطالبته بأكثر من طاقته، كذلك فالتربية الخلقية يجب أن تناسب سن المتعلم، فيجب أن يُبصر الطفل بالأخلاق التي يستفيد منها في سنه، وعدم مطالبته بتجنب أخلاق لم يسمع عنها أو يستطيع إدراكها، أو الوقوع فيها، ومثال ذلك الزنا .

٨ ـ اللعب : وهو عبارة عن استغلال طاقة الجسم الحركية في جلب المتعة النفسية للفرد ، لذلك فاللعب يستوعب النشاط الفسيولوجي الحركي الزائد عند الأطفال، كما أنه يعمل على تنمية تفكيرهم ويجعلهم في حالة من النشاط الذهني والحركي .

ومن فوائد اللعب أن التلميذ من خلال لعبه يتعلم كل ما هو جديد ، فعلى الرغم من أن الأطفال من خلال وجودهم في البيت والمدرسة يتعلمون التفريق بين الصواب والخطأ ، أو ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي ، إلا أن الفرص أثناء اللعب تعتبر أفضل من غيرها في التعرف على مستويات أخلاقية جديدة، فمن خلال حصة الألعاب يمكن غرس بعض الصفات مثل حب التعاون ومساعدة الغير وخلق روح التنافس الشريف وغيرها ... أما من ناحية لعب الطفل بمفرده فيمكن للمعلم أو المربي ملاحظة سلوكه أثناء لعبه ، ومدى تطبيقه للفضائل والتحلى بالأخلاق الحسنة .

٩ ـ إدخال مادة التربية الخلقية كمادة أساسية في جميع سنوات المرحلة الإبتدائية، ومحاسبة التلاميذ جدياً على عدم الإلتزام بالأخلاق الحسنة، وذلك بجعل درجاتها مساوية لأي مادة دراسية أخرى (وليس ١٥٪ فقط من مجموع الدرجات الكلي للمادة) ، وأن تؤدي هذه المادة إلى الرسوب وذلك في حالة تكرار سوء الخلق، فيعاقب التلميذ على سوء خلقه بخصم درجات معينة (أول مرة)، أما في حالة تكرار ذلك الفعل السيء فإن الخصم يضاعف حتى تصبح درجته لا تؤهله للنجاح في المادة .

ويكون الهدف من هذه المادة هي صيانة التلميذ من الأخلاق السيئة والضارة به وبالمجتمع ، وذلك عن طريق تحصينه ضد هذه الأخلاق ، أو تهذيب سلوك الطفل للعودة إلى الأخلاق الحسنة.

١٠ ـ ينبغي أن تراعي المناهج الدراسية بصفة خاصة في التعليم الإبتدائي ، إلى إكساب التلاميذ مبادىء التربية الخلقية الإسلامية، إنطلاقاً من مبدأ التكامل بين المواد الدراسية، فنجد أن أكثر من مادة تحث على خلق معين، لذلك لا يمكن فصل الأخلاق عن التربية .

المراجع

المصادر المراجع

أولاً : القرآن الكريم :

ثانياً : المصادر :

أ ـ المعاجم :

١ ـ ابن منظور ـ أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .

٢ ـ الزواوي ـ الطاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط، مكتبة الباز، مكة، ١٣٩٩ هـ ، د . ط.

٣ ـ الزيات ـ أحمد حسن وآخرون، المعجم الوسيط ، المكتبة العلمية، طهران، ط ١، د . ت .

٤ ـ غربال ـ محمد شفيق ، الموسوعة العربية الميسرة ، دار النهضة ، بيروت ، ١٤١٠ هـ .

٥ ـ المنجد ـ في اللغة ، الأعلام ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٢٨ ، ١٤٠٦ هـ .

ب ـ التفسير :

٦ ـ مخلوف ـ حسنين محمد، كلمات القرآن تفسير وبيان، دار الفكر ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ ، د . ط .

جـ ـ السنة :

٧ ـ ابن أبى الدنيا ، مكارم الأخلاق ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، ١٤١٠ هـ .

٨ ـ أنس ـ مالك ، الموطأ ، دار إحياد الكتب العربية ، د . ت ، د . ط . القاهرة .

٩ ـ الألبانى ـ محمد ناصر الدين ، ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .

١٠ ـ الألباني ـ محمد ناصر الدين ، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الإسلامي ، بيروت، ط ٤ ، ١٤٠٥ هـ .

١١ ـ الألبانى ـ محمد ناصر الدين، صحيح سنن الترمذى، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط ١، ١٤٠٨ هـ .

١٢ ـ الألبانى ـ محمد ناصر الدين، صحيح سنن النسائي، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١، ١٤٠٨ هـ .

١٣ ـ الألبانى ـ محمد ناصر الدين ، صحيح سنن إبن ماجه ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ .

١٤ ـ الألبانى ـ محمد ناصر الدين ، صحيح سنن أبى داود ، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط ١، ١٤٠٩ هـ .

١٥ ـ الألبانى ـ محمد ناصر الدين ، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري ، دار الصديق ، الجبيل ، ط ٢ ، ١٤١٥ هـ .

١٦ ـ البخاري ـ أبى عبدالله محمد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، ط ١، ١٤٠٠ هـ

١٧ ـ البيهقى ـ بكر أحمد بن الحسين بن على ، السنن الكبرى ، دار الفكر ، بيروت ، د. ت.

١٨ ـ الجرجاني ـ أبى أحمد عبدالله بن عدى ، الكامل في ضعفاء الرجال ، دار الفكر بيروت، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ .

١٩ ـ الحاج ، فايز محمد على ، من أعلام التربية العربية الإسلامية ، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية ، الرياض ، ١٤٠٩ هـ .

٢٠ ـ حنبل ـ أحمد بن ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار الفكر ، بيزوت ، د . ت .

٢١ ـ الدارمي ـ أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن ، سنن الدارمي ، طبع بعناية محمد أحمد دهمان ، دار إحياء السنة النبوية ، د . ت .

٢٢ ـ العسقلاني ، أحمد بن على بن حجر ، فتح البارى بشرح صحيح البخاري ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ .

٢٣ ـ النووى ـ صحيح مسلم بشرح النووى ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ .

٢٤ ـ النيسابورى ـ أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى ، صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ هـ .

٢٥ ـ النيسابوري ـ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .

٢٦ ـ الهندي ـ علاء الدين المتقي بن حسام الدين ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٩ هـ .

٢٧ ـ الهيثمي ـ نور الدين علي بن أبي بكر ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢ هـ ، د . ط .

د ـ الفقـــه :

٢٨ ـ إبن تيمية ـ أحمد ، مجموع الفتاوى ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ١٤١٢ هـ .

هـ ـ التاريـخ :

٢٩ ـ إبن الأثير ـ أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٠ هـ .

٣٠ ـ إبن خلكان ـ أبي عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، وفيات الأعيان وأبناء الزمان ، دار صادر ، بيروت ، د . ت ، د . ط .

٣١ ـ السبكي ـ تاج الدين إبن نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي ، ط ١ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ .

ثالثاً : المراجع :

٣٢ ـ إبن خلدون ـ عبدالرحمن محمد ، مقدمة إبن خلدون ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .

٣٣ ـ إبن قيم الجوزية ـ شمس الدين محمد بن أبي بكر ، تحفة المودود بأحكام المولود ، مكتبة المؤيد الطائف ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ .

٣٤ ـ إبن مفلح ـ شمس الدين أبي عبدالله محمد المقدسي الحنبلي ، الآداب الشرعية والمنح المرعية ، مكتبة إبن تيمية ، القاهرة ، د . ت ، د . ط .

٣٥ ـ إسماعيل ـ محمد عماد الدين وآخرون، كيف نربي أطفالنا، دار النهضة العربية ، ط ٧، ١٤٠٢ هـ .

٣٦ ـ أمين ـ أحمد ، كتاب الأخلاق ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٤ هـ .

٣٧ ـ باحارث ـ عدنان حسن صالح، مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، دار المجتمع ، جدة ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ .

٣٨ ـ بامشموس ـ سعيد وآخرون ، التعليم الإبتدائي دراسة منهجية ، الرياض ، ذار الفيصل الثقافية ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ .

٣٩ ـ بدران ـ شبل ، التربية المقارنة ودراسة في نظم التعليم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ .

٤٠ ـ البرجس ـ عارف مفضى ، التوجيه الإسلامي للنشىء في فلسفة الغزالي، دار الأندلس، بيروت ، د . ط . د . ت .

٤١ ـ بدوي ـ عبدالرحمن ، مؤلفات الغزالي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط ٢ ، ١٣٩٧ هـ .

٤٢ ـ البيرزات ـ عبدالحفيظ أحمد علاوي ، نظرية التربية الخلقية عند الإمام الغزالي ، دار الفرقان ، عمان ، د . ت ، د . ط .

٤٣ ـ البغدادي ـ جمال الدين أبى الفرج عبدالرحمن بن الجوزي القرشي ، كتاب الأذكياء ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .

٤٤ ـ البغدادي ـ عبدالقادر بن عمر ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٤٠٠ هـ ، د . ط .

٤٥ ـ الجنبلاطي ـ على وآخرون ، دراسات مقارنة في التربية الإسلامية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، د . ت . د . ط .

٤٦ ـ حسن ـ إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، جـ ٤، ط ١ ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ .

٤٧ ـ الحقيل ـ سليمان بن عبدالرحمن ، التعليم الإبتدائي في المملكة العربية السعودية ، دار الشبل للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .

٤٨ ـ الحقيل ـ سليمان بن عبدالرحمن ، الإدارة المدرسية وتعبئة قواها البشرية في المملكة العربية السعودية ، دار الشبل للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ٥ ، ١٤١٤ هـ .

٤٩ ـ حواشين ـ زيدان نجيب وآخرون ، إتجاهات حديثة في تربية الطفل، دار الفكر، عمان ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .

٥٠ ـ درويش ـ خوله عبدالقادر وآخرون ، تربية الأطفال في رحاب الإسلام في البيت والروضة ، مكتبة السوادي ، جدة ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ .

٥١ ـ دوي ـ جون ، المبادىء الأخلاقية في التربية، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د . ت، د . ط .

٥٢ ـ رضا ـ محمد ، أبو حامد الغزالي حياته وأراؤه ومصنفاته ، مطبعة مكتبة الوفد ، القاهرة ، ١٣٤٣ هـ ، د . ط .

٥٣ ـ رضوان ـ أبو الفتوح ، منهج المدرسة الإبتدائية، دار القلم، الكويت، ١٣٩٣ هـ ، د . ط.

٥٤ ـ الزبيدى ـ محمد بن محمد الحسينى ، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، دار الفكر ، بيروت ، د. ت، د . ط .

٥٥ ـ زيدان ـ محمد مصطفى ، التعليم الإبتدائي في المملكة العربية السعودية ، دار الشروق، جدة ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .

٥٦ ـ الشرباصي ـ أحمد ، الغزالي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ ، د . ط .

٥٧ ـ شفشق ـ محمود عبدالرزاق وآخرون ، المدرسة الإبتدائية أنماطها الأساسية وإتجاهاتها العالمية المعاصرة ، دار القلم ، الكويت ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ .

٥٨ ـ شمس الدين ـ عبدالأمير ، الفكر التربوي عند الإمام الغزالي ، دار إقرأ ، بيروت ، ط ١، ١٤٠٥ هـ .

٥٩ ـ الشنتوت ـ خالد أحمد ، دور البيت في تربية الطفل المسلم ، دار المطبوعات الحديثة ، جدة ، ط ٤ ، ١٤١٠ هـ .

٦٠ ـ عبدالغني ـ عبدالمقصود ، الأخلاق بين فلاسفة اليونان وحكماء الإسلام ، مكتبة الزهراء، القاهرة ، ١٤١٣ هـ ، د . ط .

٦١ ـ عبدالله ـ عبدالرحمن صالح ، المنهاج الدراسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط ١، ١٤٠٦ هـ.

٦٢ ـ عبود ـ عبدالغني وآخرون ، فلسفة التعليم الابتدائي وتطبيقاته ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ .

٦٣ ـ عبيد ـ أحمد حسن ، فلسفة النظام التعليمي وبنية السياسة التربوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٦ هـ .

٦٤ ـ عبيدات ـ نوقان وآخرون ، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٠٧ هـ ، د . ط .

٦٥ ـ العثمان ـ عبدالكريم ، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ .

٦٦ ـ علوان ـ عبدالله ناصح ـ تربية الأولاد في الإسلام ، دار السلام ، حلب وبيروت ، ط ٣، ١٤٠١ هـ .

٦٧ ـ عويس ـ مسعد ، القدوة في محيط النشىء والشباب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٢، ١٣٩٩ هـ .

٦٨ ـ الغزالي ـ أبو حامد ، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ت ، د . ط .

٦٩ ـ فرج ـ السيد أحمد ، الأسرة في ضوء الكتاب والسنة ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ١، ١٤٠٧ هـ .

٧٠ ـ فرج ـ عبداللطيف حسين ، المناهج أسسها ومحتواها وأنواعها ، وأهدافها وتقويمها ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .

٧١ ـ فرج ـ عبداللطيف حسين ، مفاهيم أساسية لتربية الأطفال ، دار المريخ ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ ، د . ط .

٧٢ ـ فلاته ـ إبراهيم محمد حسين ، العملية التربوية في دور الحضانة ورياض الأطفال أسسها وتطبيقاتها ، الفيصلية ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .

٧٣ ـ فودة ـ حلمي محمد وآخرون ، المرشد في كتابة الأبحاث ، دار الشروق ، جدة ، ط ٦، ١٤١٠ هـ .

٧٤ ـ القباني ـ إسماعيل محمود ، التربية عن طريق النشاط ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٧٨ هـ .

٧٥ ـ قطب ـ محمد ، منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، القاهرة وبيروت ، ط ١٠ ، ١٤١٢ هـ .

٧٦ ـ الكيلاني ـ ماجد عرسان ، إتجاهات معاصرة في التربية الخلقية ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٢ هـ ، د . ط .

٧٧ ـ الكيلاني ـ ماجد عرسان ، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، دار إبن كثير ، دمشق ، دار التراث ، المدينة المنورة ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .

٧٨ ـ الكيلاني ـ ماجد عرسان ، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .

٧٩ ـ مبيّض ـ محمد سعيد ، أخلاق المسلم، وكيف نربي أبناءنا عليها ، دار الثقافة ، الدوحة، ط ١ ، ١٤١١ هـ .

٨٠ ـ محمود ـ عبدالحليم ، المنقذ من الضلال للغزالي مع أبحاث في التصوف ودراسات عن الغزالي ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ط ٨ ، ١٣٩٤ هـ .

٨١ ـ المقري ـ أحمد محمد يحي ، تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم ، دار حافظ للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٤٠٩ هـ ، د . ط .

٨٢ ـ منصور ـ محمد جميل محمد يوسف وآخرون ، النمو من الطفولة إلى المراهقة ، مكتبة تهامة ، جدة ، ط ٣ ، ١٤١٠ هـ .

٨٣ ـ الميداني ـ عبدالرحمن حسن حبنكه ، الأخلاق الإسلامية وأسسها ، دار القلم ، دمشق، ط ٣ ، ١٤١٣ هـ .

٨٤ ـ نتو ـ إبراهيم عباس ، أفكار تربوية ، تهامة ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ .

٨٥ ـ نجاتي ـ محمد عثمان ، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين ، دار الشروق ، القاهرة وبيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .

٨٦ ـ الندوي ـ أبو الحسن ، رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، دار القلم ، الكويت ، ط ٤ ، ١٣٩٤ هـ .

٨٧ ـ وثيقة التعليم في المملكة العربية السعودية ، وزارة المعارف ، ط ٢ ، ١٣٦٤ هـ .

٨٨ ـ الوصابى ـ أبى عبدالله محمد بن عبدالرحمن الحبيشى ، البركة في فضل السعى والحركة ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ .

٨٩ ـ الوكيل ـ حلمى أحمد وآخرون ، أسس المناهج وتنظيماتها ، ١٤٠٧ هـ ، د . ط .

٩٠ ـ يالجن ـ مقداد ، التربية الأخلاقية الإسلامية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١، ١٣٩٧ هـ .

٩١ ـ يالجن ـ مقداد، علم الأخلاق الإسلامية ، دار عالم الكتب، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .